

في ظلال الوحي

"١"



عبد الخيام

تعريب

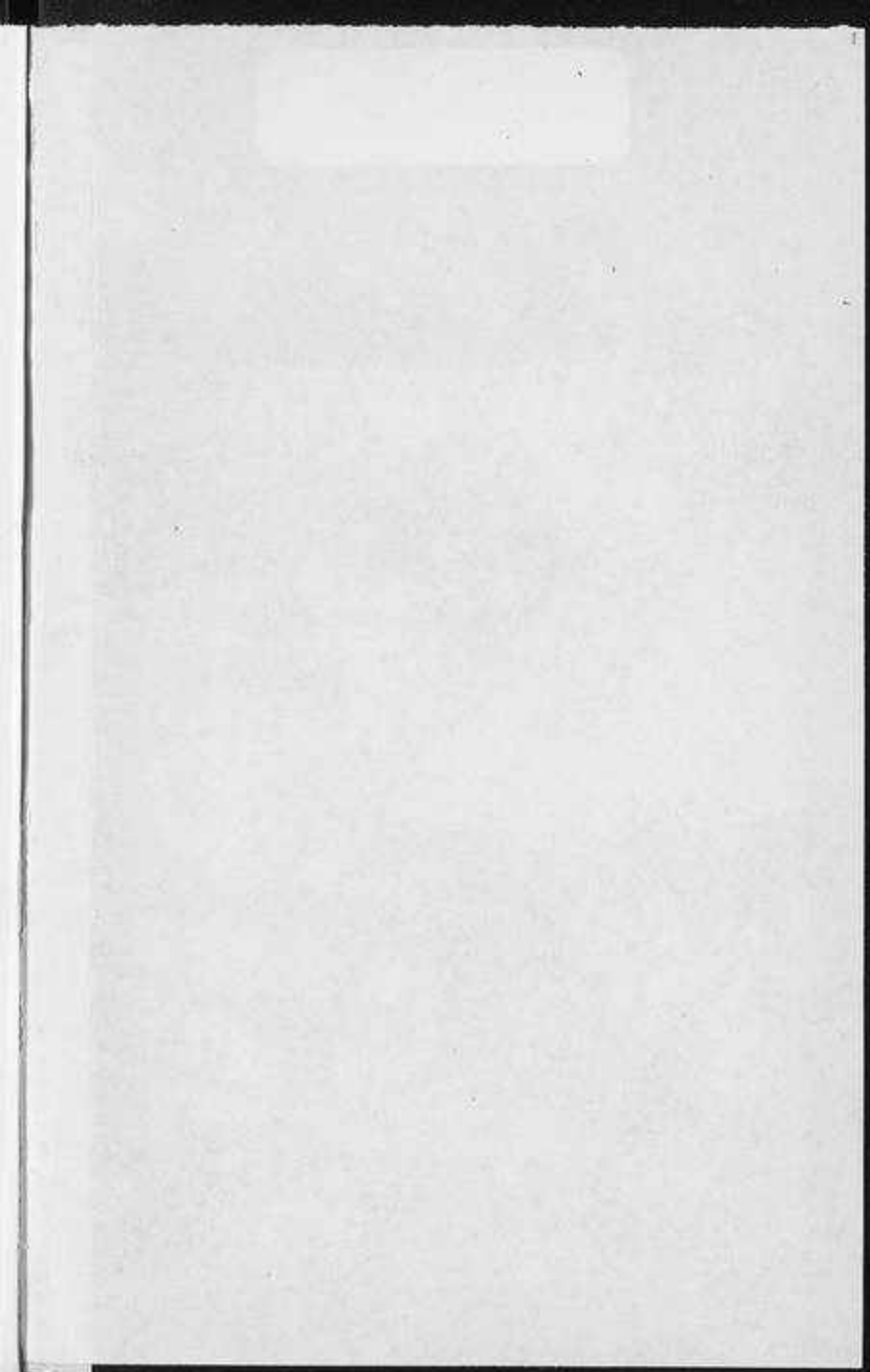
وديع البستاني

دار المعارف بمصر

Princeton University Library



32101 076318201



رباعیات
عمر الخيام



Omar Khayyām

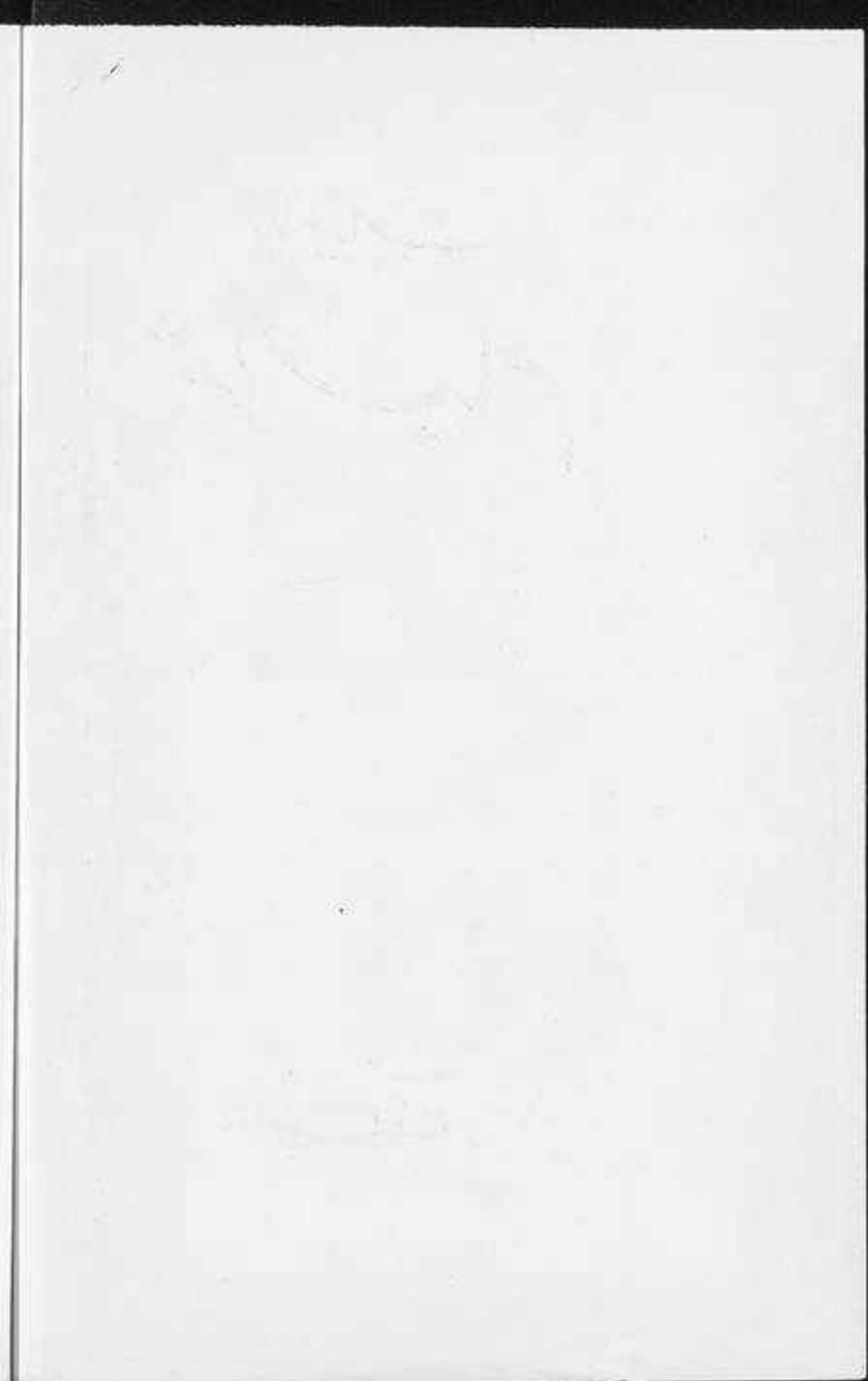
Rubā'iyāt

رباعيات
عمر الخيام

الفلكي الشاعر الفيلسوف
الفارسي

معربة نظماً بقلم
وديع البستاني

مطبعة الطبع والنشر
دار المعارف بمصر



رباعية

في الشهر الثاني من سنة ١٩١٢ ظهرت الطبعة الأولى ، من
هذا الإخراج الأول ، مرموقة بنظرة من « نظرات » صديقي
السيد مصطفى لطفي المنفلوطي ، رحمه الله ، هي كتابه إليّ المؤرخ
في آخر الشهر الأخير من سنة ١٩١١ ؛ وبها فتحت « الباب »
عن الأدب الخيامي لأبناء العربية ، في عصر العروبة الجديد
ومنذ سنوات ، نفذت الطبعة الثانية ؛ وما زال الباب مفتوحاً
يدخله داخلون

فهذه الطبعة الثالثة لسباعياني ، الواقعة في موشحين ، أسميتهما
النشيد الأول والنشيد الثاني ، تظهر الآن لأول مرة منقحةً ،
مهذبةً ، مضبوطة بالشكل الكامل ، وبعنوان لكل سباعية ؛
وما هي ، في عرف الصناعة ، إلا الإخراج الأول . وقد فرغت
من إخراجين آخرين ، ثان وثالث ، لهذا الأدب العالمي ،
الفارسي العربي الهندي ، ربّما ميزتهما بتسميتين مستقلتين

2472

379

59

وقد ضُمَّتِ الثاني السباعيات الثمانين ، وسبعين تعريباً شعرياً
لسبعين خَيَّامِيَّة ، باعتبار « الخَيَّامية » رباعيةً منسوبة إلى عمر
الخَيَّام ؛ وقد أُسمِّيه « عمر الخيام الشاعر »

أما الثالث ، وقد أُسمِّيه : « عمر الخيام » فقد ضُمَّتته :

(١) الموشَّحين المستبعين (٢) الخياميات السبعين

(٣) تعريباً نثرياً لرباعيات فتزجرلد المعروفة بإخراجه الثاني

(٤) تعريباً نثرياً للخياميات الفارسية نفسها مع بيان رقم

الخيامية في المخطوطة أو في الترجمة المعتمدة (٥) ترجمات

خياميات ، لبعض مَنْ دخل الباب بعدي ، من أدباء العربية

(٦) دراسة وتقدماً على سباعياتي ، ورباعياتي ، وعلى

الفتزجرلديات ، وسائر الترجمات (٧) أقوال أديبنا العالمي ،

أبي العلاء ، السابقة لما ضاهاها من الخياميات (٨) محاوره

أبي العلاء وأبي القاسم ، السيد المرتضى (٩) رسالة الشيخ

الرئيس ، ابن سينا ، معلّم عمر الخيام ، في « الصمدية »

(١٠) رسالتَيَّ عمر الخيام في : « الكون والتكليف » وفي

« التضاد ، والتضاء ، والبقاء » (١١) مقالاً في « عمر الخيام

عند القدماء » (١٢) مقالاً في « عمر الخيام بين الشعراء »
(١٣) مقالاً في « عمر الخيام بين الحكماء » (١٤) مقالاً
مفصلاً في « التحقيق عن الأصيل ، والدخيل ، من الخياميات »
(١٥) مقالاً في « شخصية عمر الخيام » (١٦) طائفة من
الأقوال العلائية ، تمثل شخصية أبي العلاء

و بالإخراج الثالث هذا ، رमित إلى أغراض معينة ، راجياً
إصابتها في سبيل الأدب وفلسفة الحياة ؛ منها :

(١) التفريق بين الترجمة والتعريب في نقل الشعر
(٢) إثبات الفضل الأكبر في شهرة الأدب الخيامي للأديب
الإنكليزي ادورد فترجرلد

(٣) إثبات فضل التقدم ، والجرأة الفكرية ، لأبي العلاء
(٤) الدلالة على أن عمر الخيام كان فليسوفاً ، بشعره ،
وبرساليته

(٥) القول بأن الخيام لم يكن سكيراً ، وأن الخياميات
المرجحة صحة نسبتها إليه أدب عالمي موفق ، يعين على النظر
إلى الحياة نظراً صالحاً .

وسأثبت في الإخراج الثالث كلمة المنفلوطي إليّ ، بخط يده
 الكريمة ؛ فإنها كانت ترسي ومجّني ، وبها أدّرت ، يوم فتحت
 الباب عن أدب فكري جريء ، رُمي صاحبه بالزندقة ، في حياته ،
 وبالتهتك ، بعد مماته . وها أنا ذا اليوم ، وورائي جيش من
 إخواني العمرين العرب ؛ وقد انطلقت الحرية الفكرية ، انطلاقاً
 كاد يلتبس ببوح الإباحة وفوضاها . وقد أُمِنَ القاتل مغبة
 القول ؛ وبات الويل ويل الفكر ، والسليقة والخلق . تيار تطوّر
 يقال له التجدد ، جار ، جارف ، الخير كل الخير في محاولة صادقة
 لصلبه ، وتصريح مائه عن جفائه ، بغية الخروج من عجة وصخبه
 إلى هدأة ، نسمع فيها شعر الروح ، وقد أخرجته قعقعة المادة ،
 فنكون إلى هناءة العيش أهدى سبيلاً ، والسلام

وربع البستاني

حيفا ، في ٢٩ آذار (مارس) ١٩٤٧

مقدمة

عمر الحيام — ولادته ووفاته ونسبه — نشأته — علومه وأعماله — فلسفته وشعره — . الرباعيات : — الرباعيات في اللغات الغربية ، الرباعيات في اللغة العربية أو السباعيات

ولادته ووفاته ونسبه

يتردد تاريخ ولادته في مجال الشك بين سنة ١٠٢٥ وسنة ١٠٥٠ للميلاد ، وقد أجمع العمريون^(١) على أنه توفي في نيسابور عام ١١٢٣ ، ورجح عندهم أنه نيسابوري أباً وجداً . وكانت نيسابور في تلك الأيام ، عاصمة خراسان ، ومدينة عظيمة ، بعيدة الشهرة بتجارتها وصناعاتها . وخراسان أنجبت غير واحد من شعراء الفرس كالفردوسي ، صاحب الشاهنامه الشهيرة ، وفريد الدين العطار ، صاحب منطق الطير ،

(١) العمريون هم الأدباء الغربيون الذين صرفوا همهم إلى درس فلسفة عمر وشعره . وفي لندن اليوم ناد موسم بالنادي العمري

وجلال الدين الرومي ، وجامي ، والهاتفي ، وغيرهم ممن تفتخر بهم
بلاد فارس

وقد ذكره العرب قديماً وعرفه الإفرنج حديثاً بهذا الاسم
المقتضب من اسمه الحقيقي ، وهو غياث الدين أبو الفتح عمر
ابن إبراهيم الخيام أو الخيامي . وقد لاح لأكثر مترجميه أنه
لقب بالخيام نسبةً لحرفته أو حرفه أبيه ، وتراءى للبعض أنه
إنما اختاره لنفسه لقباً شعرياً ، متوخياً السذاجة والتواضع ،
خلاقاً للعطار والفردوسي وغيرهما ممن اتخذوا لهم أسماء
خفية رنانة

وذهب أحدهم إلى أن الخيام اسم قبيلة عربية قديمة ،
وحاول أن يثبت أن هذا الشاعر الخالد عربي الأصل .
وحجته في ذلك ورود ذكر قبيلة بهذا الاسم في تاريخ تلك
الأزمان ، وأنه لا يُعقل أن يكون عمر أو أبوه قد احترف
صنع الخيام في حاضرة زاهرة زاهية كنيسابور ، وهي حرفه
الرحل وأهل البادية . وأيد قوله هذا بما ورد في وصية نظام
الملك من أن عمر كان رفيقه وصديقه أيام طلبه العلم في

نيسابور ، فلو كان أبو عمر خياماً لما كان في طاقته أن يجمع ابنه
بأبناء الأشراف والأغنياء

نشأته

آثرت في هذا الصدد الاختصار على إيراد شذرة من وصية
نظام الملك الأنفة الذكر ، لشهرتها وطرافتها :

وكان الإمام الموفق النيسابوري ، رحمه الله ، ذامكانه
سامية ، ومقام رفيع ، واشتهر عنه أن كل من درس عليه
القرآن والحديث ، موفق يوماً إلى تسنم ذرى المجد ، وإلى
سبيل السعادة ورغد العيش . وعلم والدي بأمره ، فأرسلني
إليه ، لآخذ عنه ، وأتفقه عليه ؛ فكان يرعاني بطرف
ساهر ، وكنت أنظر إليه بعين التجلة والإكرام . وحال
حلولي بنيسابور ، عقدت عرى المودة والإخاء مع اثنين
من تلاميذه اتصفا بذكاء الفؤاد ، واتقاد الذهن : حسن
ابن الصباح ، وعمر الخيام . فكنا بعد الخروج من لدن
الأستاذ ، نجتمع معاً ، ونستعيد ما ألقاه علينا ، وتذاكر

فيه ، كما كنا نتحدث ونتسارّ في أمورنا الشخصية ،
 معنيين النيات ، وناشرين الطوايا ، غير متكاثمين . وجاءنا
 حسن ذات يوم يقول : أجل ، أخويّ ، من المعروف عن
 إمامنا أن الحظ نصيب كل من درس عليه . وعندني أنه
 إن لم يصدق هذا القول في أمر الجميع ، فلا يبعد أن تحقّقهُ
 الأيام في أمر واحد منا . فعلامٌ إذاً نتعاهد وتوثّق منذ
 اليوم ؟ فأجبناه : على ما تروم . وتوثّقنا وتعاهدنا على أن
 أيّنا كان الموفق المحظوظ فرفيقاه أخواه وشريكاه في أيام
 نعمته وعلائه . وبرحتُ نيسابور ، ومريتُ السنون ، وتناثرت
 الأعوام ، وأسعدتني الأيام بتقلد الوزارة في زمن السلطان
 ملكشاه بن ألب أرسلان . وجاءني إذ ذاك مقترح الليثاق ،
 وتقاضائي القيام بشروط المحالفة الثلاثية ، فسعيت له لدى
 السلطان ، فقرّبه منه ، وأكرم مشواه . ولكن أبي حسن
 إلّا أن يكون خوّاناً غدّاراً ، وأباً مكرّ ودّهاً ، فراح يعيث
 في البلاط سعاية ووشاية ، وما عتمّ أن ظهرت خفائمه ،
 ونشرت طواياه ، فأُنزل عن منصبه محقّراً مرذولاً . أما

عمر فإذا جاءني وذكري بالعهد الذي بيننا منذ عهد الشباب ،
أظهرت له كل وفاء وولاء ، ووعدته أن أدخله في خدمة السلطان ،
فبادرني بقوله : بربك لا تفعل . وإن خير ما تجود به علي
صديقك القديم ، أن تضمن له العيش في ظلك الوارف ، مكفياً
مؤونة الكسب ، ومتفرغاً لخدمة العلم والفلسفة وممارسة الحكمة
والفضيلة . فأعجبني ذلك منه ، وحقت له هذه الأمانة ، وجعلت له
راتباً سنوياً مقداره ١٢٠٠ مثقال من الذهب يتقاضاه من
بيت المال

علومه وأعماله

إن أول من ذكر الخيام من الفرس تلميذه الشاعر النبيل
المعروف بخوجه نظامي ، وذلك في إحدى « مقالاته الأربع »
حيث يدعو « حجة الحق » ويجعله في المرتبة العليا بين
الفلكيين وأساطين العلم

فقد كان الخيام رياضياً ، وفلكياً ، عالماً طبيعياً ، وشاعراً
وفيلسوفاً معاً . وآثاره شاهدة له في جميع ذلك . فمن تأليفه

رسالة في الجبر والمقابلة كتبها بالعربية ، وقد ترجمت إلى
الإفرسية وطبعت في باريس عام ١٨٥١ . وله أيضاً بضع
رسائل أخرى في المساحة والمكعبات تدل على تضلعه من العلوم
الرياضية أيما تضلع . ولا غرو فلو لم يكن رياضياً كبيراً ، لما
كان فلكياً عظيماً ، حتى انتدبه السلطان ملكشاه لإصلاح
التاريخ الفارسي ، فأصلحه وتركه يضارع بصحته التاريخ
الغريغوري . ومن جملة تصانيفه الفلكية جدول الأرصاد الذي
سماه زيجي ملكشاهي نسبة إلى هذا السلطان ، وقد ذكره صاحب
كشف الظنون (١ : ٤٠٤) . وله أيضاً عدة تصانيف في
العلوم الطبيعية وأخرى في علم ما وراء الطبيعة

فلسفته وشعره

أجل ، كان الخيام رياضياً يعالج الأرقام ويضرب أخماسها
بأسداسها ، وفلكياً يساهر النجوم ويرصد ثوابتها وسياراتها .
ولكن علم الأرقام لم يكن ليشغله عن علم الكلام ، ولا كان
سير النجوم ليليه عن سير الأنام . فقد كان في عزله يستعيد

رائد الطرف من مسارح النجوم والأقمار ، ويحل عقال الفكر
من مشكلات الاتساع والأعشار ، وينظر حوله فيرى من الطبيعة
نباتاً نامياً ، ونهراً جارياً ، وطائراً شادياً ، ومن الناس جائراً عاتياً ،
ولئيماً مداحياً ، وتقياً مرأياً ، فيطرق مفكراً في شأن الإنسان
ومصيره ، معتبراً بجهله وغروره ، فيتراءى له الوجود فانياً ،
والخاضر ماضياً ، والمستقبل حاضراً ؛ فكان بذلك فيلسوفاً وشاعراً .
وُلد الخيام فيلسوفاً ، وعاش عيشة الفيلسوف ، وشاعراً وعاش
عيشة الشاعر ، ومات فيلسوفاً وشاعراً . والرباعيات هي سفره
الفلسفي الجليل ، وأثره الشعري الخالد . ولا بد لنا ، دون تفهم
نظرياته الفلسفية وإدراك خيالاته الشعرية ، من النظر إلى حاله
وحال زمانه نظر المفطور على إحقاق الحق وإزهاق الباطل .
كانت الصوفية لذلك العهد في إبان انتشارها ، وكان دعائها
وأتباعهم ، بين مبتدع بدعة مؤمن بها ، ومخترق تروعة مقبل
عليها . فكانت ملابس التدين والتشف تلبس بوشاح خشية
والتقوى ، وكانت أبواب زهدهم وريائهم ، تشف عن عريهم
من الورع الحمود ، وخلوهم من إخلاص العابد للمعبود . وكان

الخيام ذا فكر ثاقب ، ونفس زكية ، فلم تغش بصيرته حجب
التضليل ، ولا انعقدت لكنته بحجة القال والقليل ؛ فراح يزيّف
أقوالهم ، وينتقد أعمالهم ، ويرميهم بكل سهم صائب من الحقيقة
كبدها . وراحوا يرمونه بالكفر والإلحاد ، ويسلقونه بأسنة
السنة حداد . ولم يكن له إلا أن يحذرهم حذر المسافر من وحوش
الوعر ، وآفات الغدر ، إذ ثبت لديه أن الحياة سفرٌ ومسير أوله
المهد وآخره القبر

هذه هي حاله وحال أهل زمانه على زعم بعض من ترجم له ،
وهذا ما إخاله كان دأبه وشأنه ، وما أراه مجارياً للرباعيات
في مغزاها ومرماها

وقد زعم بعضهم أن الخيام كان فيلسوفاً مادياً كالوقريشوس ،
وأنه نظر نظرة في الوجود ، فألقى الحياة أمداً معلوماً وأجلاً
مضروباً ، إلا أنه خالفه في الدعوة ، فلم يقل قوله : « كلوا
واشربوا اليوم فقد أتموتون » بل قال : اسكروا وتناسوا هموم
الحياة ، واغتنموا الفرصة قبل الفوات . ودليلهم في ذلك إكثاره
من ذكر الخمرة والكأس في رباعياته

وزعم آخرون أن الخيام كان صوفيًا بحتًا ، وأنه كان يتغزل
بالخمرة تغزلاً ويريد بها العزة الإلهية ، شأن ابن الفارض من شعراء
العربية ، وحافظ من شعراء الفارسية
فهل كان الرجل مسكيراً متهتكاً ، أو فيلسوفاً نزيهاً عفيفاً ؟
سؤال كثرت الأجوبة عنه ، والويل من كثرتها ، ومشكلة
عالجها كثيرون ولم يوفقوا إلى حل عقدها

وهناك القائلون إن الرباعيات منسوجة على منوال
اللزوميات ، وإن الخيام تلميذ أبي العلاء في أفكاره ، وخلفه في
مبادئه وآرائه . ولا شك أن أوجه الشبه بين أقوال الرجلين
كثيرة واضحة ، ووجه الاحتمال جليٌّ ظاهر . فقد كان عمرُ
ضليماً من العربية وعلومها وآدابها ، بل كان يؤلف وينظم فيها .
ولكن ذلك لا يسوغ لنا اتهام شاعر الفرس بالسرقة عن شاعر
العرب . فإن القول المشترك بينهما تصوير حقائق وحجج وبراهين
عقلية ، مصوغة في قوالب شعرية ، وليس من قبيل الاستعارات
والكنائيات وضروب البديع الخيالية ، التي لا فخر إلا لمبتكرها
والسابق إليها . وإذا اقتصرنا في الحكم على اعتبار التقدم

والتأخر زماناً ، فلا يسعنا إذ ذاك إلا أن نعرّي حتى المعرّي من فضله ، وتهمة بالأخذ عن سبقه من فلاسفة اليونان والرومان والهنديين المتقدمين

ومن يوازن بين اللزوميات والرباعيات يرّ أن صاحب الأولى وصاحب الثانية يرميان إلى أغراض متقاربة متشابهة . فكلاهما يقول بخلع ثوب الرياء ، وإطراح البدع والترهات ، وتحكيم العقل في أمور الدين ؛ وكلاهما يدعو إلى الزهد في متاع الدنيا واحتقار حطامها ، ويشدد النكير على ظُلامها وطغامها ؛ وكلاهما أُلْمع إلى النظرية المادية التي تناولها فلاسفة القرن التاسع عشر وعلمائوه وراحوا يؤيدونها بأبحاثهم واكتشافاتهم — أريد تلك النظرية المضمنة قول أبي العلاء :

والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد والواردة على غاية ما يكون من الوضوح والجلال في كثير من أقوال الخيام ، كما سترى

وإذا ذكرنا أن الخيام كان مطلعاً على علوم زمانه ، بل مضيئاً إليها استنباطاته واكتشافاته واختباراته ، حق لنا أن

ترجح أنه كان في غنى تام عن الاقتباس من شاعر المعرفة
 وفيلسوفها . وقد أثبت البعاث الغربيون أن علوم اليونان
 وفلسفتهم كانت لعهد الخيام منقولة إلى العربية ، متداولة بين
 أيدي قرائها ؛ فكان الفارابي قد نقل فلسفة أفلاطون ،
 وكانت أقوال أفلاطونيوس (أو الشيخ اليوناني أو أفلاطون
 المصري كما دعاه الفرس) معروفةً مفهومة لدى علماء الفارسية .
 فالأولى بنا أن نحسب النيسابوري مستمداً من « جمهورية
 أفلاطون » من أن تلبسه عار السرقة من لزوميات شاعر المعرفة
 ولا يذهبن عنا أن بعض الرباعيات منسوب إلى عمر الخيام
 وهو براء منها ، وذلك لأسباب شتى سنورد شيئاً منها في
 الكلام التالي على « الرباعيات » . ولنختم هذا المقال بترجمته
 الواردة على صفحة ١٦٢ من « تاريخ الحكماء » لابن الفنطلي ،
 فنرى أن العرب كانوا يرمونه بالمرقوق والخروج عن الدين كما
 رموا المعري من قبله :

(إمام خراسان ، وعلامة الزمان ، يعلم علم يونان ، ويبحث على
 طلب الواحد الديان ، بتطهير الحركات البدنية ، لتنزيه النفس

الإنسانية، ويأمر بالتزام السياسة المدنية، حسب القواعد اليونانية .
وقد وقف متأخرو الصوفية على شيء من ظواهر شعره فنقلوها
إلى طريقتهم ، وتحاضروا بها في مجالساتهم وخلوتهم ، وبواطنها
حيات للشريعة لواسع ، ومجامع للأغلال جوامع . ولما قدح
أهل زمانه في دينه ، وأظهروا ما أسره من مكنونه ، خشي على
دمه ، وأمسك من عنان لسانه وقلمه ، وحجج متافاة لا تقيه ، وأبدى
أسراراً من السرار غير نقيه . ولما حصل بيفداد سعى إليه أهل
طريقته في العلم القديم ، فسدّ دونهم الباب سدّ الندام لا سد
النديم . ورجع من حجه إلى بلده يروح إلى محل العبادة ويفقدو ،
ويكتم أسرارهم ولا بد أن تبدو . وكان عديم القرين في علم
النجوم والحكمة ، وبه يضرب المثل في هذه الأنواع لو رزق
العصمة . وله شعر طائر تظهر خفياته على خوافيه ، وتكدر عرق
قصده كدر خافيه)

وقد أعجبني في هذا الصدد قول أحد مترجميه الغربيين :
إن انخيام بسعة علمه واطلاعه كان مسلماً طليق الفكر من قيود
التقاليد ، وشديد الجرأة على المجاهرة باعتقاده المطابق للمعقول

ولو جاء مخالفاً للمنقول ، شأن السواد الأعظم من علماء المسيحيين
اليوم الذين يُصلون رجال الدين حرباً عواناً ، ويرمون الرؤساء
الروحيين بأسهم الانتقاد والتثريب

وقبل الانتقال إلى « رباعياته الفارسية » هاك نمطاً من
أشعاره العريضة . وقد عثرت على هذه الأبيات في الجزء
الثامن عشر من مجلة الهلال الغراء في سياق مقالة عنوانها
« عمر الخيام » بقلم عيسى افندي إسكندر معلوف :

إذا رضيتُ نفسي بميسور بُغْةٍ

يُحصلها بالكدِّ كفي وساعدي

أمنت تصاريِفَ الحوادث كلها

فكن يازماني مُوعدي أو مُواعدي

أليس قضى الأفلاك في دورها بأن

تعيد إلى نحسٍ جميع المساعد

فيا نفس صبرا في مقيلك إنما

تخرّ ذراه بانقضاض القواعد

سبقت العالمين إلى المعالي بصائب فكرة وعلو همه
فلاح بحكمتي نور الهدي في ليالٍ للضلالة مدلهمة
يريد الجاحدون ليطفئوها ويأبى الله إلا أن يتمه

العقل يعجب في تصرفه ممن على الأيام يتكل
فنوالها كالريح منقلب ونعيمها كالظل منتقل

الرباعيات

لم يؤثر عن الخيام من منظوم في الفارسية إلا بعض مقطعات
تسمى بالرباعيات ، لأن بعضها مؤلف من أربعة أشطر جميعها
على قافية واحدة ، والبعض الآخر من أربعة أيضاً ، الأولان
والأخير منها على نفس القافية ، والثالث مستقل تماماً
فقال الضرب الأول :

- ١ مائيم ومي ومصطبة وتون خراب
- ٢ فارغ زاميد رحمت وبيم عذاب
- ٣ جان ودل وجام وجامه پردرد شراب
- ٤ آزاد زخاك وباد أوز آتش وآب

وترجمتها الحرفية :

- ١ هو ذا نحن وهو ذا الخمر ودكة الشرب والكانون الخرب
 - ٢ وغير مكترئين بالرحمة ولا بخوف العذاب
 - ٣ هالك نفوسنا وقلوبنا وكؤوسنا وأثوابنا مملوءة بثقل الخمر
 - ٤ وها كنا مستقلين عن التراب والهواء والنار والماء
- ومثال الضرب الثاني :

- ١ قرآن كه مبین كلام خوانند أورا
- ٢ كه كاه نه بر دوام خوانند أورا
- ٣ در خط پیاله آیتی هست مقیم
- ٤ كاندر همه جا مدام خوانند أورا

وهذه ترجمتها :

- ١ أما القرآن الذي يسمونه الكلام العالوي المنزل
- ٢ فيقرأونه في الفترات وليس على الدوام
- ٣ وأما الآية المحفورة على حافة الكاس
- ٤ فتلك يقرأونها في كل زمان ومكان

وقد أوردت هذين المثالين بياناً لماهية الرابعة الفارسية ،
من حيث المبنى ، وهما السابعة والسادسة في أقدم نسخة خطية .
ولننظر إليهما ثانية من الوجهة المعنوية ، فترى أن ذكر الحرّة في
الأولى وذكرها في الثانية ليسا على وتيرة واحدة . وأمثال هذا
الاختلاف ، وإن شئت فقل التناقض الكلي ، كثيرة جداً .
فليس قليلاً ما تجد الرابعة الكفرية نسبةً إلى مغزاها ،
تلو الرابعة الابتهالية نسبةً إلى فحواها ، فتحتار في أمر الخيام ،
ويتردد حكمك فيه بين القيضين ، شكك ، وبقينه ، وكفره
ودينه . فلا بدّ إذن من كلمة في الرابعيات وتاريخها . فإنها
مجموعة أفكار تناقلتها العصور ولعبت بها الأغراض والأهواء
كل ملعب ؛ وقد اعتراها من الحذف والإبدال ، وشابها
من المتشابه والمكرر والدخيل ، ما ترك أمرها مجالاً للبحث ،
والتنقيب ، ومضاراً يتبارى فيه أدباء الغربيين أيما مباراة

وقد مضى نحو نصف قرن وتيف وهم يستقصون أخبارها ،
ويقصّون آثارها ، وللآن لم تعثر أيديهم على النسخة الأصلية
منها . وأقدم نسخة وجدوها هي النسخة المنسوبة إلى السير اوسلى

المحفوظة في مكتبة بولدين بأ كسفورد ، وفيها ١٥٨ رباعية فقط .
وكيف لا تحتار إذ تسمع أن في كيمبردج نسخة أخرى أثبت
فيها ثمانية رباعية ورباعية ؟ أما النسخة الأوسلية
فع أنها الأقدم والأقرب إلى زمن الخيام ، فإنها مكتوبة
منذ سنة ١٤٦١ أي بعده بثلاثة قرون ونصف تقريباً .
ويوجد في المكتبة الأهلية بباريس نسخة تتضمن ٣٤٩ رباعية
وهي أحدث من الأوسلية عهداً ؛ كُتبت في أوائل القرن
السادس عشر (١٥٢٨ م) . وفي المكتبة العمومية في بنكيبور
نسخة عدد رباعياتها ٦٠٤ ؛ وهناك نسخ كثيرة مختلفة في عدد
رباعياتها ونوعها منذ القرنين السابع عشر والثامن عشر

وقد كاد يرسخ في أذهان عشاق الرباعيات أن كل مجموعة
منسوبة إلى عمر الخيام هي من نغثات يراع ذلك الرياضي الفلكي
الفيلسوف الشاعر ، لولا أن ظهر في عام ١٨٩٧ مقال للأستاذ
الروسي شكوفسكي ، أثبت فيه أن اثنتين وثمانين منها واردة
في دواوين غيره من شعراء الفرس ، وأن نحو نصف هذا العدد

لثلاثة من كبارهم ، هم فريد الدين العطار ، وحافظ ، وجلال الدين
الرومي ، وأما النصف الآخر فلأربعين آخرين كآبي سعيد
 وابن سينا والفردوسي وأنوري وعبد الله الأنصاري . وقد
لقبوها « بالرباعيات المتشردة » والظاهر أن موريها في
نسخهم كانوا يلقونها شبيهة بالرباعيات الخيامية ، فيضيفونها
إليها بقصد أو بغير قصد . ولقد زاد عددها منذ ظهور تلك المقالة
فبلغ ١٠١ ، ولعل مواصلة البحث في هذا السبيل منتهية بالقوم إلى
تمييز الرباعيات العمرية الحقيقية وفرضها عما سواها

أما عدد الرباعيات المنسوبة إليه مما ورد في النسخ الخطية
فألف ومائتان ، نحو ١٠٤٠ منها مستقلة بمعناها بعض الاستقلال
بحيث يمكن اعتبارها رباعيات مختلفة . وأما الرباعيات التي
لا ريب ولا نزاع في نسبتها إليه فلا تزيد عن الإحدى عشرة .
وهي التي أردفها باسمه من ذكره من معاصريه في آثارهم الباقية
حتى اليوم

وهاك اثنين من أهم الأسباب المرجحة لكثرة الدخيل
والمكرر : أما الأول فهو أنه كان لعمر ككل صاحب رأي

ومذهب أتباع وأشياع يدافعون عنه ويفارون عليه ، وخصوم
وأضداد يبغضونه ويقذحون فيه ؛ فكان الراضون عنه
ينسبون إليه من نمط الرباعيات التي لا غبار عليها ولا تريب
كالتي يزهد فيها بالدنيا وحطامها ويظهر فيها بمظهر الورع
المتعبد . وكان المتعضون منه يلصقون به من عندياتهم
ومختلقاتهم رباعيات لا يشتم منها إلا رائحة الحجر والكفر معاً .
وقد ذكر ابن القفطي أن الصوفيين نقلوا الرباعيات إلى
طريقتهم ، ولا شك أنهم بدلوها وزادوا فيها حسباً شاءوا
وشاءت مقاصدهم وأغراضهم . وأما السبب الثاني فهو أن النسخ
على ما يظهر كانوا يتقاضون أجرة الخط عن كل رباعية على
حدة ؛ فكان يهيمهم أن يزيدوها ويكثروها طمعاً بزيادة الأجر .
وكلا السببين معقول مقبول ، ولا سيما هذا الأخير ، لأن الناظر
إلى تلك النسخ ليدهش لجميل خطها وبديع زخرفها ؛ ولا عجب
ففتنوها كانوا أمراء زمانهم ، وملوك فارس وسلاطينها منذ عهد
الخيام حتى العصور المتأخرة

ونحن اليوم في عصر لا ينظر فيه إلى من قال بل إلى ما قيل ،

وحسبنا من هذه الرباعيات أنها مجموعة خواطر شعرية ، وسجل
أقوال فلسفية ، نقرأها فيما نقرأ ونطالع من الأدبيات الفارسية ؛
وحبذا لو كثر لدينا المنقول منها .

الرباعيات في اللغات الغربية

إن السابق إلى ذكر الخيام من الغربيين هو توماس هيد
الإنكليزي أستاذ العربية والعبرانية في جامعة أكسفورد ، وذلك
منذ سنة ١٧٠٠ ؛ ويتلوه ثون همر النمساوي الذي ترجم بضع
رباعيات عام ١٨١٨ ؛ وظهرت بعد ذلك في فرنسا ترجمة
الرباعيات الحرفية النثرية بقلم المسيو نيقولا زعيم القائلين إن
صاحبها كان صوفيًا .

أما الشاعر الإنكليزي المطبوع ، فتزجرلد ، فهو الذي استوحى
الخيام روحه ، ونظم رباعياته في رباعيات إنكليزية خلدت اسمه
في تاريخ الآداب الغربية ، وطيرت شهرته في إنكلترا وأمريكا
وأوربا قاطبة ، ولا بدع إن لقبوه بعمر الخيام الغربي كما فعلوا .
ظهرت رباعيات فتزجرلد لأول مرة في أواسط الشهر الأول
من سنة ١٨٥٩ ، فلم تستقبل بجزء من ألف من الاحتفاء الذي

بات نصيبها بعد حين، بل نُشرت فطُويت وأُقيت في زوايا النسيان،
 وأُهملت وأُغفلت حتى كاد يُقضى عليها بالموت (وقد قدّر لها
 الخلود) لولا أن قام روزتي وكتب مقالة ضافية الذيل في شأنها
 ومقامها بين الآثار الأدبية ، وتلاه في ذلك وحذا حذوه المستر
 سونبرن ولورد هوتون ؛ فتنهبت الخواطر إليها بعض الشيء ،
 وتاقت إليها الأنفس بعض التوق . وما قولك فيها وهي الكتيب
 الصغير الذي كانت تعرض النسخة منه بلميمين ونصف ولا يقبل
 عليها أحد ، فأصبحت بعد حين وكثير من يبذل العشرين جنياً
 فلا يجد منها نسخة واحدة . ونحو عام ١٨٦٩ ظهرت طبعتها
 الثانية مضافاً إليها بضع رباعيات جديدة . ولم يمض إلا سنوات
 قلائل حتى طبعت ثالثة ، وعندئذ أعلن فترجرلد اسمه لقراءها .
 وبلغت من عمرها ربع قرن فحياها تنسون بقصيدة كان لها
 من الرنة في القلوب والوقع في النفوس ما حرك السواكن وأثار
 الخوامد وأحيا الجوامد ، فاستيقظ النائمون ، وانتبه الغافلون ،
 وأقبلوا على تلك المنظومة يستمعونها عذراً ويعظمونها قدراً .
 ويلوح لي أنهم لم يبخلوا ولم يقصروا في تعويضها مما فاتها ، إذ

أنهم لم يكتفوا بأن أحيوها بل خلدوها بعد مماتها . وعاش
فترجرلد حتى عاد فهدبها ونقعها مرة رابعة ، ومات قريير العين
مطيب النفس . ولا بد لي هنا من الإشارة إلى خلة من خلال
هذا الرجل يعد أصحابها على الأنامل ويشار إليهم بالبنان ، وهي
أنه كان « خلاً وفياً » .

وإذا أردت الإلماع إلى غرام الإنكليز والأميركان برباعيات
الخيام ، إن لم أقل ولوعهم وهيامهم فيها وإكرامهم لها وإعجابهم
بها ، فحسبي أن أخبر بما شهدته ورأيتُه وعرفته بنفسِي أثناء إقامتي
مدة وجيزة في لندرا ؛ وإني في ذلك لمبتدئ حيث انتهيت
ومنته حيث ابتدأت . دخلت مكتبة المتحف البريطاني ، وهي
مكتبة الأمة البريطانية بأسرها ، وتناولت برنامجها وفتحته حيث
اسم عمر الخيام ، فعددت مئة وثلاثة وخمسين كتاباً ؛ بعضها
طباعات مختلفة من ترجمة فترجرلد ، مزخرفة وغير مزخرفة ،
ومصورة وغير مصورة ، ومشروحة وغير مشروحة ، والبعض
الآخر ترجمات متنوعة لأدباء مختلفين ، هذه شعرية ، وأخرى
ثرية ، وهذه منقولة بتصرف ، وتلك بدون تصرف ، وهذه

مترجمة عن النسخة الأوسلية ، وتلك عن النسخة الكلكتية إلخ
 إلخ . وكنت أدخل المكاتب التجارية فرقاً لها عن مكاتب
 المطالعة وأطلب « رباعيات الخيام » والإنكليز يعرفون قيمة
 الوقت وقيمة الدينار فأبادر بمثل الأسئلة الآتية : أتريدها مزخرفة
 أم « طبعة بسيطة » ؟ وهل تريد لها مزينة بالرسوم أو بدون
 رسوم ؟ وأية ترجمة تريد ؟ بقلم فتزجرلد أم غارنر أم ميكارثي أم
 هوينفيلد ؟ . . إلى آخر ما هنالك من الاستفهامات التي لا بد
 منها في أمر كتاب كثرت أنواعه واختلفت أذواق طلابه
 وتفاوتت ، اختلافهم وتفاوتهم في ذات الجيب .

وإليك في ختام هذا المقال أسماء البعض ، والبعض فقط ، من
 العمرين الذين كتبوا أو نظموا وقرأت نثرهم وشعرهم العمري
 واعتمدتهم واستعنت بهم في درس عمر ورباعياته : فمنهم إدورد
 هرون ألن وإدورد برون ، ونيكلسن ، وشيرازي ، وهوينفيلد ،
 وغارنر ، وميكارثي ، وهنري فرنان ، ونيقولاس ، ولوران تايلاد ،
 وجارسان دي تسي ، ومسزجسي ، ومسزبورين . والغريبات
 اللواتي صرفن ذكاءهن إلى درس هذا الأثر الفارسي كثيرات .

أما فترجرالد فلم أجعله حلقة من هذه السلسلة ، لأن ترجمته محور تدور عليه تأليف متعددة لأدباء كثيرين . وكذلك لم أذكر أحداً من الألمان ، لأنني لجولي الألمانية لم أطلع ما كتبوا ، وما أنا إلا مشير إلى من اطاعت على مؤلفاتهم الخيامية من الإنكليز والأميركان والفرنسيين . ولعله كان يحسن بي أن أذكر بعض المصورين الذين زينوا الرباعيات بالرسوم الخيالية الممثلة لمعانها أحسن تمثيل ، ولكنني أختص منهم بالذكر جيمس جيمس الذي نال قصب السبق في مضمار الإجابة في تخيل هيئة الخيام وتصورها — وهو صاحب طراز الرسوم التي تتخلل السباعيات وقد اكتفيت بالتقليل منها^٥

الرباعيات في اللغة العربية — السباعيات

أريد بالسباعيات هذين الموشحين اللذين عنيت بتضمينهما روح الخيام أخذاً عن رباعياته . وعساني لم أظلم تلك الروح بنقلها من بيت فارسي إلى بيت عربي بل من رباعيات إلى سباعيات . فعهدي باللغتين شقيقتين تتبادلان مواطن الأفكار

٥ هذا الطبعين السابقين . رسوم هذه الطبعة بريشة عربية

ومنازل الخيال . وها الأثران الفارسيان أصلاً — ألف ليلة وليلة
وكلية ودمنة — لا يكادان يُفرقان عن الآثار العربية أصلاً .
ولست لأدعي امتلاك زمام اللغتين كعبد الله بن المقفع الذي يتنا
نسميه صاحب كلية ودمنة لا ناقله أو مترجمه ، وأنا لا أكاد
أعرف من الفارسية حرفاً واحداً . بل جلُّ قصدي الإشارة إلى
ما بذلته من الجهد وأفرغته مما في الوسع في درس الرباعيات
بترجماتها المتقنة الإنكليزية والإفرنسية ، نثرها وشعرها
وحرفها وغير حرفها .

فقد ذكرت في كلام سابق أنني وجدت في المكتبة الأهلية
بلندرا ١٥٣ كتاباً في « عمر الخيام ورباعياته » . وهنا أقول إنني
انتخبت من تلك الكتب ما ألفيته يسد حاجتي ويقضي لبائتي
وما ودعت المكتبة شاكراً إذا كراً إلا وقد تم لي نظم مئة سباعية
عدت فحذفت عشرين منها لسبب يسهل استنتاجه من مراجعة
الكلام المتقدم على المكرر والدخيل تحت عنوان « الرباعيات » .
وقد ذكرت أيضاً أن منظومة فترجرلدهي الفضلى ، لأن طريقتها
هي المثلى ، ولأنها بمثابة محور دارت عليه دراسات ومباحث .

ولذلك فقد اتبعتها في درس الرباعيات أولاً وفي نظمها وتنسيقها
 ثانياً وثالثاً . وتبيناً لميزة منظومته ، أقول : إن الرباعيات مرتبة
 في النسخ الخطية المختلفة بحسب قوافيها لا بحسب معانيها ومراميها
 وأغلب مترجميها ترجعها وشرحوها ، إن نثراً أو شعراً ، وبتصرف
 أو بدون تصرف ، رباعية رباعية . أما فنزجرلد فإنه بعد الفراغ
 من درسها وتفهم مغازيها وإدراك مرامي الخيام فيها ، فضل عنده
 أن يجعلها ملحمة واحدة أو نشيداً وحيداً بل عقداً فريداً ؛ فكان
 يقدم ويؤخر في ترتيبها متوخياً تسلسل الأفكار واتساقها . فجاءت
 منظومته ، بفضل حسن اختياره وأصاله ذوقه ، حيث اعترف له
 النقات العارفون ، وقالوا إنه لو بعث الخيام من قبره في أواسط
 القرن التاسع عشر وكانت نفسه نفسه ولسانه الإنكليزية لكان
 نظم رباعياته كما فعل فنزجرلد تماماً .

فبعد ما وثقت من أن رباعيات فنزجرلد هي نفس الدرر
 الفارسية منظومة في عقد يأخذ جمال تنسيقه بتجامع العقل
 والقلب والنفس جميعاً ، عدت إلى تلك الكتب التي تبحث فيها
 وتفندها تفنيداً وتنتقدها انتقاداً وجعلت أدرسها وأطالعها بكل

تؤدة وإمعان . فكنت أقضي في سبيل الرباعية الفترجردية
الواحدة ثلاث ساعات أو أربعاً موازناً بينها وبين الرباعية
أو الرباعيات التي تعد أصلاً لها في ترجمات هوينفلد ونيقولاس
وغارنر وميكارثي ، وأعود فأستصفي معنى السباعية الواحدة من
تلك المصادر جميعاً . وكنت أتوخى في جميع ذلك الحرص على
تأدية المعنى الخيامي بعينه ، بل كنت أميل إلى الاختصار على
اليسير من كثير ، مني إلى زيادة شيء من عندي .

وبعد ما عدت من لندن أخذت أغتم كل فرصة سانحة
لإطلاع من أعرفه من أدباء القطين على هذه السباعيات
فكنت ألاقى منهم من الرضاء عنها والارتياح إليها ما شجعتني على
طبعا ونشرها . وإني مقر بعجزي ومعترف بمحدثة عهدي في
حلبة الكتاب والشعراء ، وقائل قول نسيبي معرب الإلياذة في
ديباجة الكتاب : « فإن أحسنت وفيه منتهى جهدي فذلك
من حسنات الاجتهاد . وإلا فخسي أن أفتحه باباً يلج منه وقفه
الله إلى سبيل السداد » .

وربع البستاني

١٥ فبراير سنة ١٩١٢

1. 1

2. 2

3. 3

4. 4

5. 5



رَبِّ رُحْمَاكَ إِنِ ارَّذْتَ الْحَسَابَا ؛
إِنَّمَا قُلْتُ مَا حَسِبْتُ صَوَابَا ؛
أَفَأَلْقَى ، عَلَى يَدَيْكَ ، الْعِقَابَا ؟

بَيْنَ مَنْ صَوَّرُوا الْوُجُودَ سَرَابَا ،
أَنَا أَجْلُوكَ فِي الْكُؤُوسِ حَبَابَا ؛

أَنَا شَيْخُ التَّوْحِيدِ بَيْنَ النَّدَامَى
لَا أَتُسِّنِّي إِنْ عَدَدُوا الْأَرْبَابَا

في سنة ١٢٨٥ هـ

في شهر ربيع الثاني

في يوم الاثنين

في سنة ١٢٨٥ هـ

في شهر ربيع الثاني

في يوم الاثنين

في سنة ١٢٨٥ هـ

في شهر ربيع الثاني

في يوم الاثنين

في سنة ١٢٨٥ هـ

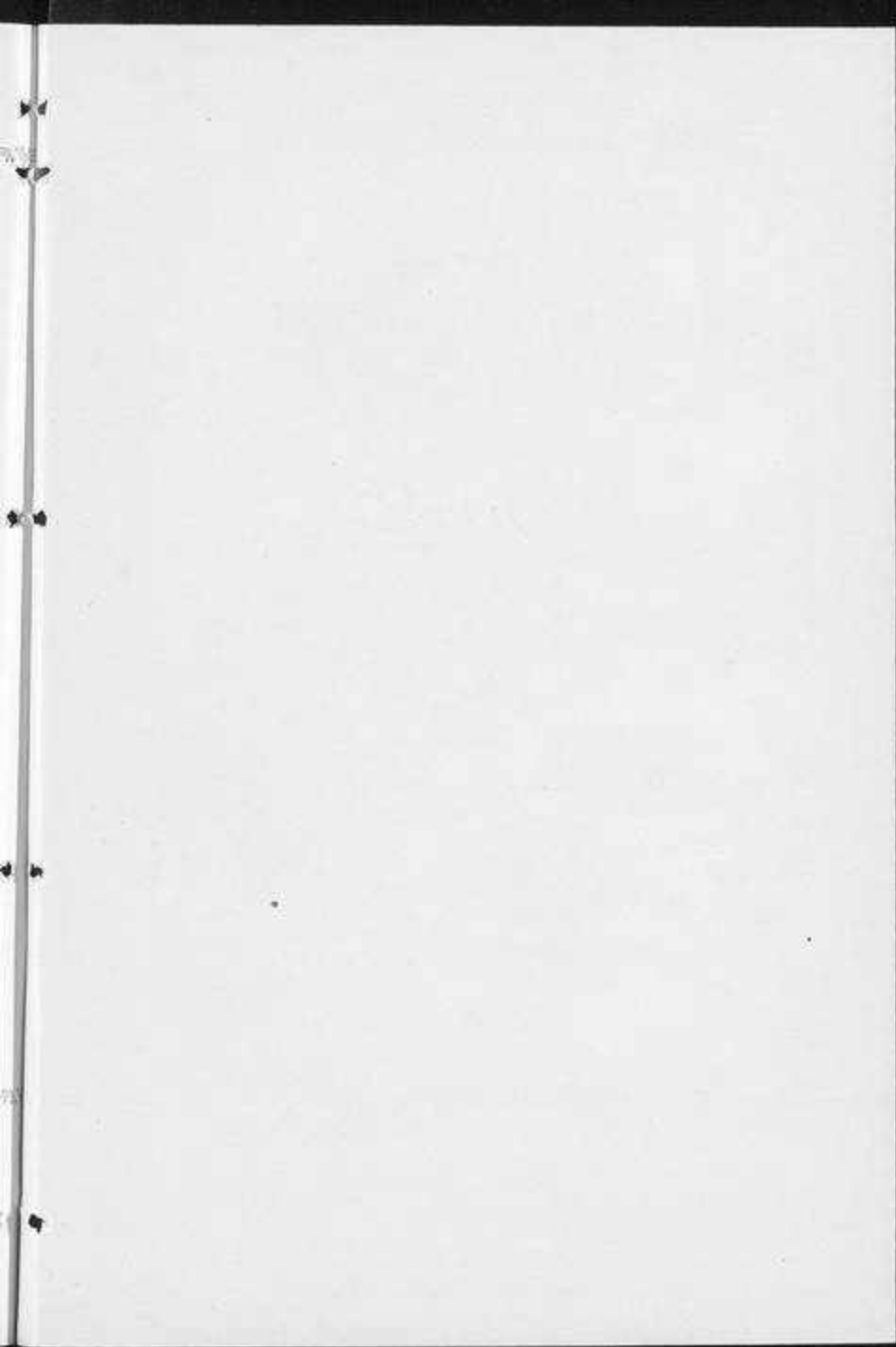
في شهر ربيع الثاني

في يوم الاثنين

في سنة ١٢٨٥ هـ

في شهر ربيع الثاني

النشيد الأول





بِتُّ فِي حَانَتِي سَمِيرَ الْمَدَامِ ؛
وَقَبِيلَ أَنْهَرَامِ جُنْدِ الظَّلَامِ ،
هَتَفَ الطَّيْفُ بِالْندَامَى النِّيَامِ :

أَيْهَا الْعَافِلُونَ ، هُبُوا قِيَامًا ،
وَأَرْشَفُوهَا ، وَوَدِّعُوا الْأَيَّامَا ،

قَبْلَ أَنْ تَجْرَعُوا كُؤُوسَ الْمَنَامَا
وَتَعَافُوا ، وَالْخَمْرُ عَزَّتْ شَرَابَا



حَلَّ عِيدُ النَّيْرُوزِ ، وَالْأَنْسُ حَلَّ ،
وَالذَّسِيمُ الشَّافِي ، الْعَلِيلُ ، أَبْلَا ،
وَتُغُورُ الْأَزْهَارُ تَرَشُّفَ طَلَا ؛

صَاحِ ، لَاحَتْ فِي دَوْحِنَا يَدُ مُوسَى ؛
صَاحِ ، مَرَّتْ بِالرَّوْضِ أَنْفَاسُ عِيسَى ؛
عَادَ فَضْلُ الرَّبِّيعِ ، وَالنَّفْسُ طَابَتْ ،
صَاحِ ، وَالْعَيْشُ وَالسَّلَافَةُ طَابَا

وَلِيَا لِي دَاوُودَ لَيْسَتْ تَعُودُ ؛
وَالْمَعْنَى وَلِي ، وَوَلَّى الْعُودُ ،
مَعَ أُمِّي ؛ وَالْيَوْمَ أَزْهَرَ عُودُ ،

فَوْقَهُ بُبْلُ يُعْنَى لَوْرِدُ ،
شَفَهُ السُّقْمُ مِنْ غَرَامٍ وَوَجَدِ :

يَا حَبِيبَا فِي وَجَنَّتَيْهِ أَصْفَرَارُ
عَاشَتِ الْخَمَرُ ، لَا ذُبُلْتُ أَكْتِثَابَا

ندم الندمان

٤

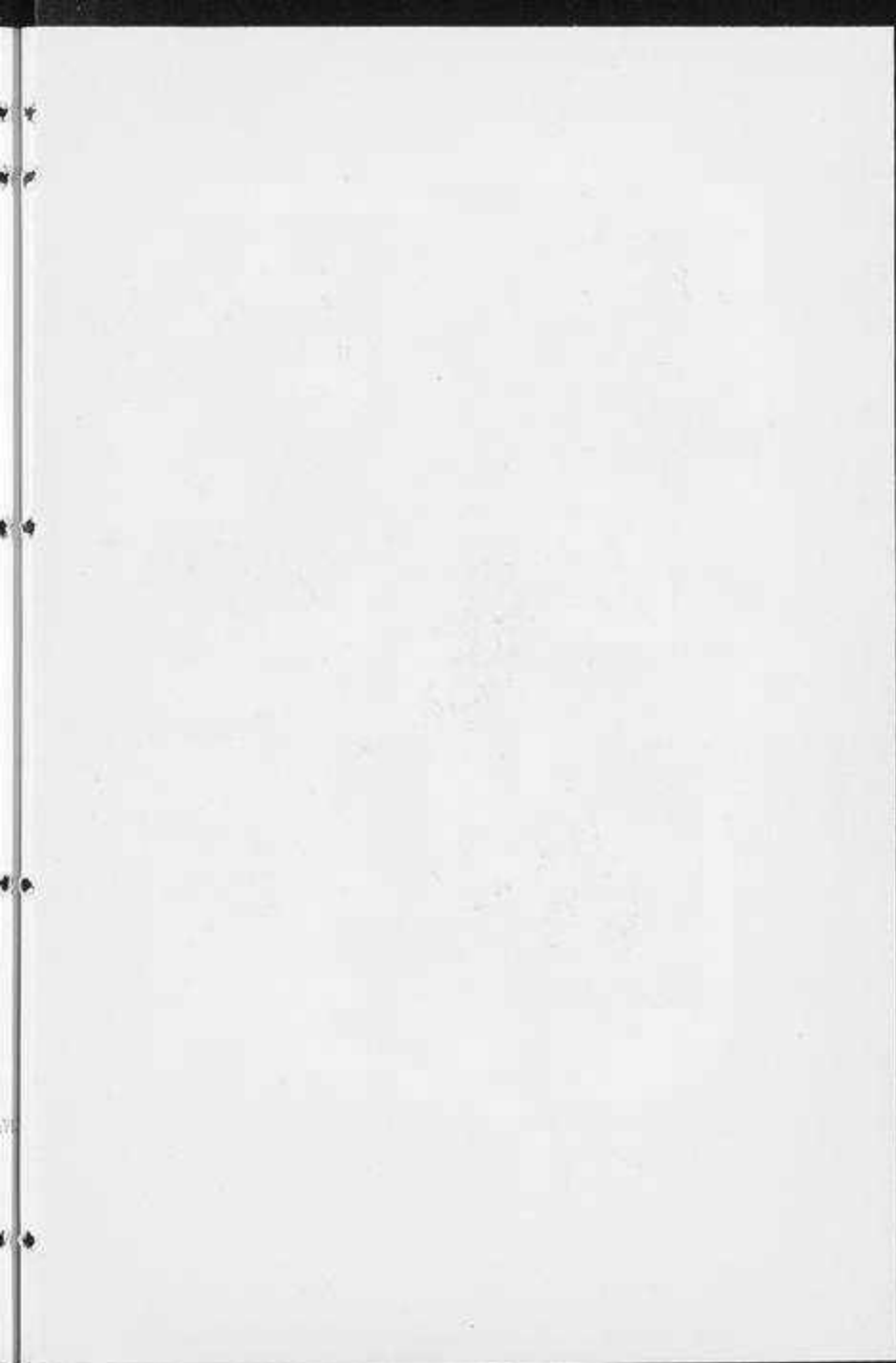
مَرَّ بِي عَاشِقُ الْوُرُودِ ، صَبَاحًا ،
بَعْدَمَا زَارَ نَرْجِسًا وَأَقَاخَا ،
وَشَدَا الرُّوضِ مِنْ جَنَاحَيْهِ فَاحَا ؛

فَالرَّبِيعُ الزَّاهِي الْمَعْطَرُ وَافَى ؛
فَبِكَاسٍ وَافُوا ، وَهَاتُوا السُّلَافَا ،

يَا نَدَامَى ، فَقَدْ تَنَدَّمَ قَلْبِي
لِرَبِيعٍ فِيهِ عَنِ الْكَاسِ تَابَا



و مرقای غصن فلیل بقدر و رقیقان مع زجاجة خمر
کل زادی ، والأهل ، دیوان شعر





وَرَبِيعُ الْحَيَاةِ عَهْدُ الصَّبَا ؛

وَحَيَاتِي ، كَهَذِهِ الصَّبَا ،

حُلُوُّهَا الْمُرُّ ، فَهِيَ طِبِّي وَدَائِي ؛

وَبَلَخَ ، أَوْ نَيْسَبُورَ ، سَأْفَظِي ؛

فَدَعُونِي نَعُضَ اللَّبَانَةِ أَقْضِي ؛

عِيشَتِي نَشْوَتِي ؛ وَخُمْرِي شَبَابِي ؛

وَعَدًا يَدَهُمُ الْمَشِيبُ الشَّبَابَا



وَأَرْحَمُونِي؛ فَالْوَقْتُ لَيْسَ رَحِيمًا؛
شِيمَةُ الدَّهْرِ أَنْ يَظْلَّ ظَلُومًا؛
وَالزَّمَانُ الْغَشَامُ يَغْشَى الْغُشُومًا؛

أَيْنَ «جَشِيدُ»؟ أَيْنَ «كَايُوقَبَادُ»؟
أَيْنَ «زَالُ»؟ زَالُوا، جَمِيعًا، وَبَادُوا؛

وَأَذْكُرُ الْوَرْدَ.. أُمْسِ ذَاعَ شَدَاهُ،
وَأَعْتَدِي الْيَوْمَ فِي الْإِنْعَالِ ثُرَابًا

لا رستم ولا حاتم



مُسْتَبِدُّونَ ، جَاءَهُمْ مُسْتَبِيدٌ ؛
مَا لِحُكْمِ الْأَيَّامِ فِي الْخَلْقِ رَدٌّ ،
لَا مَنَاصُ مِنْهُ ، وَلَا مِنْهُ بَدْ ؛

وَإِذَا «رُشْتَمٌ» دَعَاكَ لِحَرْبٍ ،
أَوْ دَعَا «حَاتِمٌ» لِأَكْلِ وَشُرْبٍ ،

فَأَصَمَّ الْمَسَامِعَ ، أَلْبَثَ ، فَلَا ذَا
كَ ، وَلَا ذَا ، مَنْ يَسْتَحِقُّ جَوَابَا



وَأَجِبْنِي ؛ وَوَافِنِي لِإِعْتِرَالِ ،
وَأَبْتِعَادِ عَنْ شَكْلِ قَبِيلٍ وَقَالِ ؛
رُبَّ قَفَرٍ ، مِنْ الْمَظَالِمِ خَالِ ،

لَيْسَ فِيهِ عَبْدٌ ، وَلَا سُلْطَانُ ،
هُوَ عِنْدِي الْمَسْكَنُ ، نَعَمْ الْمَسْكَنُ ؛

رُبَّ كَهْفٍ ، وَنَحْنُ حُرٌّ لِحُرٍّ ،
فَاقَ قَصْرًا طَالَتْ ذُرَاهُ السَّحَابَا

٩

وَمَقَامِي غُصْنٌ ظَلِيلٌ بِقَمَرٍ ؛

وَرَغِيفَانِ مَعَ زُجَاجَةٍ سَمَرٍ ،

كُلُّ زَادِي ؛ وَالْأَهْلُ ، دِيْوَانُ شِعْرِ ،

وَحَبِيبٌ ، يَهْوَاهُ قَلْبِي الْمَعْنَى ،

بِشَحِيٍّ ، يَذِيبُنِي ، يَتَغَنَّى ؛

هَكَذَا ، أَسْكُنُ الْقِمَارَ نَعِيًا ،

وَأَرَى هَذِهِ الْقُصُورَ خَرَابًا

النقد أبق

١٠

بَعْضُهُمْ ، أَرْضُهُ السَّمَاءُ ؛ وَبَعْضُ ،
نَاسِكَ زَاهِدٌ لَهُ الْأَرْضُ أَرْضُ ،
وَتَقَاهُ ، وَالَّذِينَ ، دِينَ ، وَقَرَضُ ؛

وَأَنَا قَانِعٌ بِمَنْتِ الْحَانِ ،
وَلَكَّ الْحُورُ فِي فَسِيحِ الْجِنَانِ ؛

حَبَّذَا النَّقْدُ فِي يَدِي ؛ لَا أُرَآيَ ؛
لَا رَغَى اللَّهُ مَنْ أَدَانَ وَرَآيَ



۱۱

يَا فَوَّادِي ، حَذَارِ .. حَتَّى النِّسْيَا ؛

إِنَّ هَذَا الْمُنْشُورَ ، كَانَ نَظِيماً ،

فَوْقَ غُصْنٍ ؛ وَالْيَوْمَ غَشَى الْأَدِيمَا ؛

كَانَ وَرَدًا ، جِلْبَابُهُ الْأَكْمَامُ ،

يُوسُفِيًّا ، لَهُ الْحَيَاهُ لِثَامُ ؛

رَأَوْدَتُهُ رِيحُ الشَّمَالِ .. وَهَمَّتْ ..

لَا لِثَامًا أَبَقَتْ ، وَلَا جِلْبَابَا

لست كنزاً

١٢

يَا نَدِيمِي ، بَدَّدْ شُجُونَ الصُّدُورِ ،
بِمُدَامِ وَرْدِيَّةٍ فِي الْخُمُورِ ؛
وَدَعْ أَلْهَمَ وَالْيَلَى لِلْقُبُورِ ؛

فِي الْقُبُورِ النُّزُولُ ، وَعُدَّاءُ كَيْدُ ؛
وَتُرَابًا ، تَحْتَ التُّرَابِ ، تَعُودُ ؛

لَسْتُ ، يَا رَاجِيَ الْمَاءِ بِكَنْزِ
نَبَشِ النَّبِيشُونَ عَنْهُ فَأَبَا

دَارُنَا ، خَيْمَةٌ ، بِعُرْضِ الْفَقَارِ ،
ذَاتُ بَايَيْنِ ، مِنْ دُجَى وَهَارِ ؛
نَحْنُ فِيهَا مَا بَيْنَ غَادٍ وَسَارِي ؛

أَوْ بِلَاطٍ ؛ وَمِثْلُ «بَهْرَامِ جُورِ» ،
أَلْفُ «جَمَشِيدِ» ، مِنْ أَنْامِ الْقُصُورِ ،

حِينَ جَاؤُوا ، جَاؤُوا مُلُوكًا ؛ وَلَمَّا
ذَهَبُوا ، كَالْأَنْامِ كَانُوا ذَهَابًا

بهرام جور

۱۴

قَصُرُ « جَمِيدَ » ، مَجْمَعُ النَّدَمَانِ ،
صَارَ كُنَا لِلْخِشْفِ فِي الصَّخَصَحَانِ ،
وَمَقِيلًا لِلضَّبِّ وَالْتُعْلُبَانِ ؛

« وَأَبْنُ جُورِ » الصَّيَّادُ صَيْدَ ، وَأَزْدِي ،
وَمِنْ الْعَرَشِ حُطَّ حَطًّا لِلْحَدِّ ؛

بَقَرُ الْوَحْشِ فَوْقَهُ رَائِحَاتُ
غَادِيَاتُ ، تَجْتَاحُهُ أُسْرَابُ

أين الملوك ؟

١٥

رُبَّ قَصْرِ طَالَتْ ذُرَاهُ السَّمَاءَ ،
وَبَرَأَتْ قِيَابُهُ أَفلاكَا ؛
وَمُلُوكٌ كَانَتْ تَخِرُّ هُنَاكَ ،

وَجِبَاهُ تَعْنُو عَلَى الْأَعْتَابِ ،
بِوَقَارِ الْعِبَادِ فِي الْمِحْرَابِ ؛

وَهُنَاكَ ، الْيَوْمَ ، الْحَمَامُ يُنَادِي
يُوسُفَا ، وَالْغُرَابُ يَدْعُو الْغُرَابَا



أَيْهَذَا النَّدِيمُ ، جَامِي مُتَرَعِّغٌ ،
مُرَجَّفٌ ، فِي يَدَيَّ ، إِمَّا أَنْتَوَّقِعُ ،
بَعْدَ مَاضٍ مَفْقَى ؛ وَصَبْرِي مُضَعَّضٌ ؛

فَأَسْقِنِي الْيَوْمَ مَذْهَبَ الْحَسَرَاتِ ؛
لَا تَسْكِلْنِي لِحِلْمِ يَوْمِ آتٍ ؛

فَقَدْ... رُبَّمَا غَدَوْتُ طَرِيدَ الْـ
أَمْسِ ، أَطْوِي الْأَجْيَالَ وَالْأَحْقَابَا

١٧

كَمْ حَبِيبٍ كَانَ الْجَلِيسَ الْأَنْيَسَا،
كَلِمًا شَعَشَعَ النَّدَامَى الْكُؤُوسَا
كَمْ حَبِيبٍ . سَلِ الثَّرَى وَالرُّمُوسَا ؛

وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ وَدَّعُونِي ،
وَأَسَى يُلْهِبُ الْحَشَا أَوْدَعُونِي ؛

فَرَّغَ الْبَيْتُ ؛ وَالْمَقَابِرُ مَلَأَى ؛
وَالْعُمُورُ الْمَلَأَى تَقِيضُ أَنْسِكَاتَا

من العيون ؟



هَذَا غَمَامُ السَّمَاءِ يَسْكُبُ سَكْبًا ،
كَالْأَحْيَاءِ ، عَلَى قُبُورِ الْأَحْيَاءِ ،
عَبْرَاتٍ يَزْهَوُ بِهَا الْمَرْجُ خِصْبًا ؛

وَكَمَا شَاقْنَا ، وَرَاقَ ، عِيَانًا ،
زَهْرُ رَوْضٍ نَزَنُو إِلَيْهِ الْآنَا ،

لَيْتَ شِعْرِي ، إِذْ نَحْنُ فِي الرَّوْضِ ، زَهْرٌ
مَنْ عُيُونٌ نَرُوقُهَا بِعَجَابَا ؟

حَيْثُ تَلَقَى الْوَرْدَ النَّضِيرَ الْجَمِيلًا ،
قَمَلِيكَ هُنَاكَ خَرَّ قَتِيلًا ؛
فَادَّرَ إِمَّا قَبَّلَتْ خَدًّا أُسِيلًا ؛

وَلَسَكُم خِلَتَ مَا اقْتَطَفْتَ الْبَنَفْسِجَ
ضَاعَ عِطْرًا مَا بَيْنَ شَوْكِ وَعَوْسِجَ

وَهُوَ خَالٌ نَامَ بِحَدِّ فَتَاةٍ
بَدَرَ حُسْنٌ فِي ظُلْمَةِ الْقَبْرِ غَابَا

بالنراب قلوب

وَنُغُورُ الْأَزْهَارِ ، يَا ذَا الْحَبِيبِ ،
مِنْ نُغُورٍ لَأَلَاؤُهَا مَحْجُوبٌ ؛
لَكَ قَلْبٌ ؛ وَفِي الْأَدِيمِ قُلُوبٌ ؛

خَفَّفِ الْوَطْءَ فَوْقَ هَذَا النَّبَاتِ ؛
وَارْحَمْ النَّجْمَ ؛ مِنْ صُدُورِ النَّبَاتِ ،

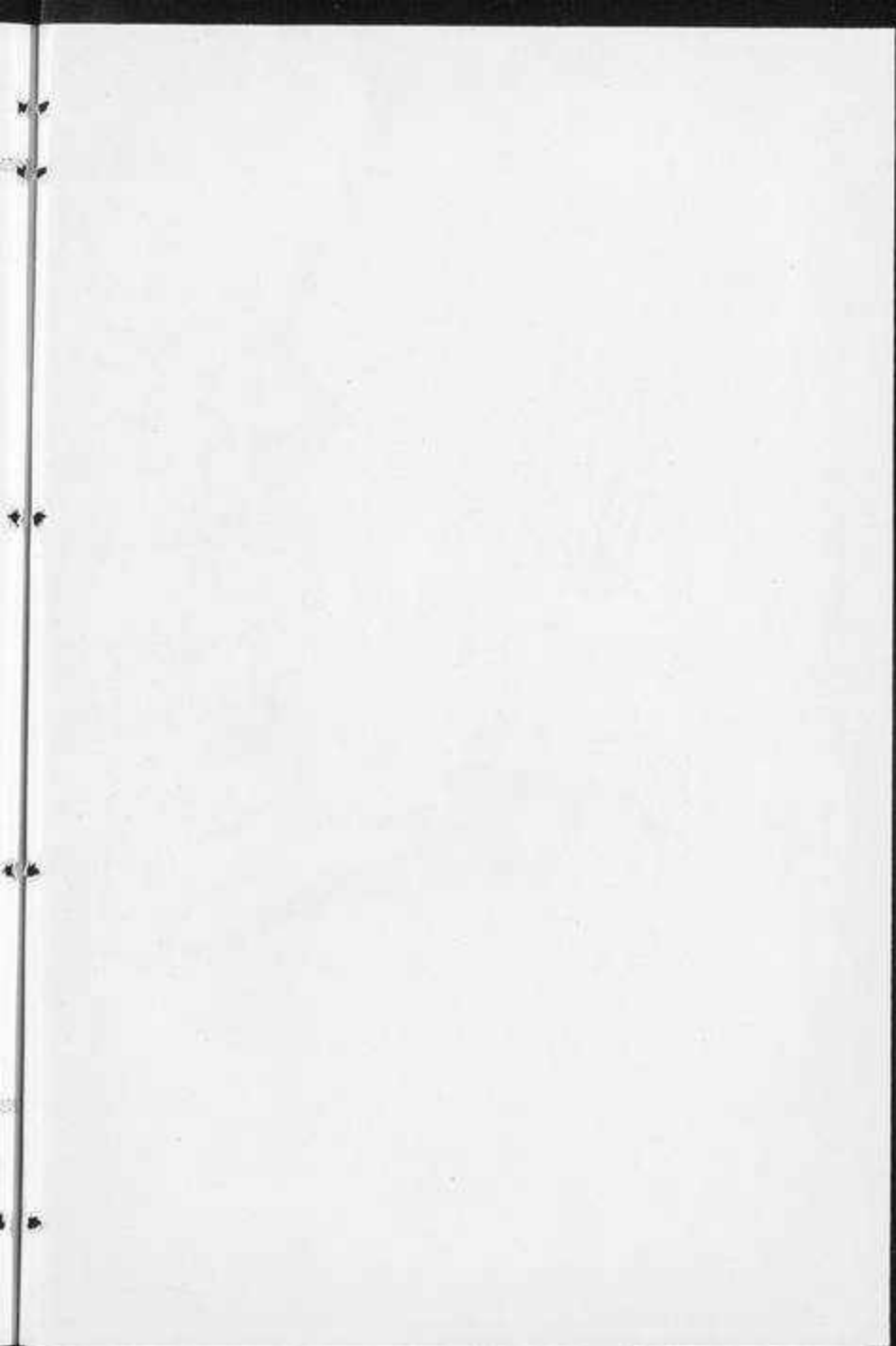
نَجْمَ النَّبْتِ ؛ طَابَ نَوْمُ الْعَذَارَى ؛
لَا مُفِيقَ مِنْهُ بَيْنَ أَهَابِ





خفف الوطء فوق هذا النبات وارحم التجمد من صدور النبات...

[ص ٦٠]



٢١

لَا تَدْعُ لِلْأَمْسِ إِيَّاكَ سَبِيلًا ؛
لَا يَكُ الْهَمُّ فِي الْفَوَادِ النَّزِيلًا ؛
وَأَعْتَنِيهَا ؛ فَالْعُمُرُ لَيْسَ طَوِيلًا ،

وَتَرَدَّدُ إِلَى ضِفَافِ الْعَجَارِي ،
وَتَوَدَّدُ لِلْمُعْشَرِ الْأَزْهَارِ ،

فَقَلِيلٌ مَا أَنْتَ تَرْكَبُ أَرْضًا
فِي دُجَى جَوْفِهَا تُطِيلُ اغْتِرَابَا

لا هنا ولا هناك

٢٢

وَلِأَهْلِ الْيَقِينِ — وَالْإِيمَانِ
وَلِأَهْلِ النَّشْكِيكِ فِي الْأَذْيَانِ ،
وَلِأَهْلِ الْأَوَّلَى ، وَأَهْلِ النَّثَائِي ،

هَاتِفُ الْغَيْبِ فِي الدُّجْنَةِ قَالَا :
قَدْ صَلَّيْتُمْ فِي الْعَالَمِينَ ضَلَالًا ،

لَا هُنَا أَنْتُمْ كَسَبْتُمْ ثَوَابًا
لَا . وَلَنْ تَكْسِبُوا ، هُنَاكَ ، ثَوَابًا

وَلَسَكُمْ قَامٌ فِي الْوَرَى مِنْ حَكِيمٍ ،

وَحَطِيبٍ ، وَفَيْسُوفٍ عَظِيمٍ ،

وَأَتُونَا بِكُلِّ قَوْلٍ عَقِيمٍ ؛

وَهُمْ الْآنَ فِي الثَّرَى سَاكِنُونَ ،

بَعْدَمَا أَفْأَقُوا الدُّنَى ، صَامِتُونَ ؛

رُبَّ قَوْلٍ قَالُوهُ ، كَانَ هَوَاءَ

بِهَوَاءٍ ، فِي السَّمْعِ رَنٌّ خَطَّابَا

وَحَدِيثُ عَهْدٍ بِهِ كُنْتُ حِدَنًا ،
لِمُلُوكِ السَّكَلَامِ دَرُسًا وَبَحْنًا ؛
وَلِتِلْكَ الْعُهُودِ آثَرْتُ نَسْكُنًا ،

حِينَ قَالُوا : كَأَلْمَاءِ نَحْنُ أَتَيْنَا ،
وَكَرِيحٍ ، أَدْرَاجَهَا ، إِنَّ مَصِينًا ،

هَبَكَ فِي الْمَاءِ زَمْزَمًا « حَيَوَانًا »
فَيَجُوفِ الثَّرَى تَفِيضُ أَحْتِجَابًا

فِي سَبِيلِ الْأَسْرَارِ وَالْأَلْفَازِ ،
ذَاتِ يَوْمٍ خَلَقْتُ تَحْلِيْقَ بَارِي ،
فِي سَمَاءِ الْمَعْنَى الْخَفِيِّ الْمَجَارِي ؛

وَلِحَيِّينِي ، لَمْ أَلْقَ فِي الْأَفْلَاكِ ،
لِي قَرِيْنًا فِي الْفَهْمِ وَالْإِدْرَاكِ ؛

عُدْتُ بِالسِّرِّ بَعْدَمَا أُجْتَرْتُ ذَاكَ أَلْ
بَابَ ، مِثْلِي ، لَمَّا طَرَقْتُ الْبَابَا

اليوم



كُلُّ عُمْرِي ، كَالْمَاءِ فِي الْأَنْهَارِ ،

أَوْ كَرَبِجٍ حَيْرَانَةٍ فِي الصَّحَارِي ،

وَمَسَائِي مِنِّي كَصُبْحِ نَهَارِي ؛

وَلْيَوْمٍ مُذْ بَانَ لَسْتُ أَرَاهُ ،

وَلْيَوْمٍ لَمْ — لَمَنِي أَلْقَاهُ ،

لَمْ أَسْمَعْهَا حَلَّ الْهُمُومِ ؛ وَعُمْرِي ،

لِسِوَى الْيَوْمِ ، مَا حَسَبْتُ حِسَابَا

مَا بَرَأْنِي أَقْدِمْتُ هَذِي الدِّيارَ ؛
وَسَا ضَطرُّ لِلرَّحِيلِ اضْطِرَارًا ؛
وَاخْتِيَارِي ، إِنِ اسْتَطَعْتُ اخْتِيَارًا ،

بِذْتُ كَرَمَ صَهْبَاءَ تَجْلُو اللَّهُمَّ
فِي حَيَاةٍ مَلَأَى أَسَى وَغَمُومًا ؛

فَادِرْهَا سُلَافَةً ، وَأُسْقِنِيهَا
نِعْمَةً ؛ فَالْوُجُودُ كَانَ مُصَابًا

زُحِّلْ كَانَ مَوْطِي إِذْ رَحَلْتُ
بِحَيَّالِي ، وَفِي التُّرْبَا حَلَلْتُ ،
وَصِعَابًا مِنْ الْقَضَايَا حَلَلْتُ ،

وَأُجَنَلَيْتُ الْأَسْرَارَ وَالْمُبْهِمَاتِ
مِنْ أُمُورِ الْأَنَامِ وَالْكَائِنَاتِ

غَيْرَ سِرِّ الْأَجَالِ وَالْمَوْتِ فِيهَا ؛
ذَلِكَ سِرٌّ لَمْ أَنْضُ عَنْهُ النِّقَابَا



يَا بَنِي أَرْبَعٍ وَسَبْعٍ إِيَّامًا ،
تُخْرِجُونَ الْأَلْبَابَ وَالْأَفْهَامَ ،
وَتَزِيدُونَ عِلْمَنَا أَوْهَامًا ؟

بَعْدَ أَلْفٍ ، سَبْعِينَ سَبْعًا ، مِرَارًا ،
قُلْتُ قَوْلًا أُعِيدُهُ تَكَرَّرًا :

لَا السَّمَاءُ أَرْجَعَتْ وَلَا الْأَرْضُ رُدَّتْ
رَاحِلًا فَاتَ أَهْلُهُ وَالصَّحَابَا

ناس ، فطين

وَكَاَنِّي بِالْكُوزِ قَدْ كَانَ صَبَاً ،
مُبْعَدَاً ، آمِلًا دُنُوًّا وَقُرْبَاً ،
هَائِمًا مَائِتًا غَرَامًا وَحُبًّا ؛



وَكَاَنِّي بِعُرْوَتَيْهِ ذِرَاعًا
عَاشِقِي ضَمَّ مَنْ أَحَبَّ وَدَاعًا ؛

صَاح ، هَذَا الْمَصِيرُ : نَاسٌ ، فَطِينٌ ،
فَأَوَّانٍ ، لَا تَعْرِفُ الْأَصْحَابَا

أُمْسِ ، أَبْصَرْتُ جَارَنَا الْخَزَافَا ،
يَجْبُلُ الطِّينَ ، كَيْفَ شَاءَ ، أُعْذِسَافَا ،
وَيَكِيلُ الْمِقْدَارَ مِنْهُ جُزَافَا ؛
وَكَأَيِّ سَمِعْتُ ، يَنْ يَدَّيْهِ ،
صَوْتٌ حَيٌّ يَبْكِي وَيَدْعُو عَلَيْهِ :
وَبَكَ ، رِفْقًا ، فَأَنْتَ طِينٌ وَمَاءُ ؛
لَتَذُوقَنَّهُ ، عَ — ذَابِي ، عَذَابًا

بقايا الأسلاف



أَيُّهَا الْخَرَّافُ ، قَدْ قُتِّ حِدْقًا ؛
وَلَقَدْ فُزْتُ فِي الصَّنَاعَةِ سَبَقًا ؛
لَكَ صَيْتٌ يَذِيعُ غَرْبًا وَشَرْقًا ؛
لَكِنْ أُرْفُقُ ؛ فَسَوْفَ تَطْلُبُ رِفْقًا ،
مِنْ حَرِيفٍ ، تَزُولُ أَنْتَ ، وَيَبْقَى ؛
فَبَقَايَا الْأَسْلَافِ مَا أَنْتَ مِنْهُ
صَانِعٌ مَا يُحْيِرُ الْأَلْبَابَا

لَيْسَ هَدْرًا مَا أَهْرَقْتَهُ السُّقَاةُ ،

لِنِدَامِي قَبْلِي ، وَقَبْلَكَ مَانُوا ؛

إِنَّمَا التُّرْبُ ، يَا نَدِيمُ ، رُفَاتُ ؛

فَلْيُرِيقُوا ؛ وَلْيَنْزِلِ الْقَطَرَاتُ ،

فِي كِبُودِ حَرَرِي بِهَا الْحَسَرَاتُ ؛

لَكَ أَجْرٌ فِي قَطْرَةِ الْخَمْرِ تُطْفِي

لَوْعَةً فِي النَّرَى تَوُجُّ الْبَهَابَا

عَدَمٌ آخِرِي ؛ وَمِنْ أَفْرَاحِي ،
يُوجِدِي فِي قُرْبِ زَيْنِ الْمَلَّاحِ ،
بِتُ سَكْرَانٍ بِالْهَوَى وَالرَّاحِ ؛

لَيْسَ هَذَا الْخَيَامُ إِلَّا خَيْالًا ؛
مَيَزُولُ الْخَيَامُ ، فَأَحْسِبُهُ زَالًا ؛

لَكَ نَفْسٌ ، لَا شَيْءَ إِنْ زُلْتَ عَنْهَا ؛
فَأَصْطَحِبْهَا ، قَبْلَ الزَّوَالِ ، أَصْطَحِبْهَا

فِي السَّمَاءِ الزَّرْقَاءِ سَاقٍ يَطُوفُ ،
وَعَلَيْهِ مِنَ الظَّالِمِ سُجُوفُ ؛
وَالنَّدَامَى عِنْدَ السَّمَاءِ ضُيُوفُ ؛

هُوَ سَاقٍ يُطَاعُ ، فَأَشْرَبُ ، مُطِيعًا ،
مِنْ يَدَيْهِ ، وَلَا تَتَهَدَّدُ جِرْؤُوعًا ؛

تِلْكَ كَأْسُ الْمُنُونِ ؛ كُلُّ النَّدَامَى
شَارِبُهَا ، فَمَا قَدَّوهُ صَوَابًا

الساقى الأكبر

أَيُّهَا الْخَيَّامُ هَذِي السَّمَاءُ ،
يَتَوَلَّاكَ حُكْمُهَا وَالْقَضَاءُ ،
فَتَوَلِّي ، وَلِلْوُجُودِ الْبَقَاءُ ؛

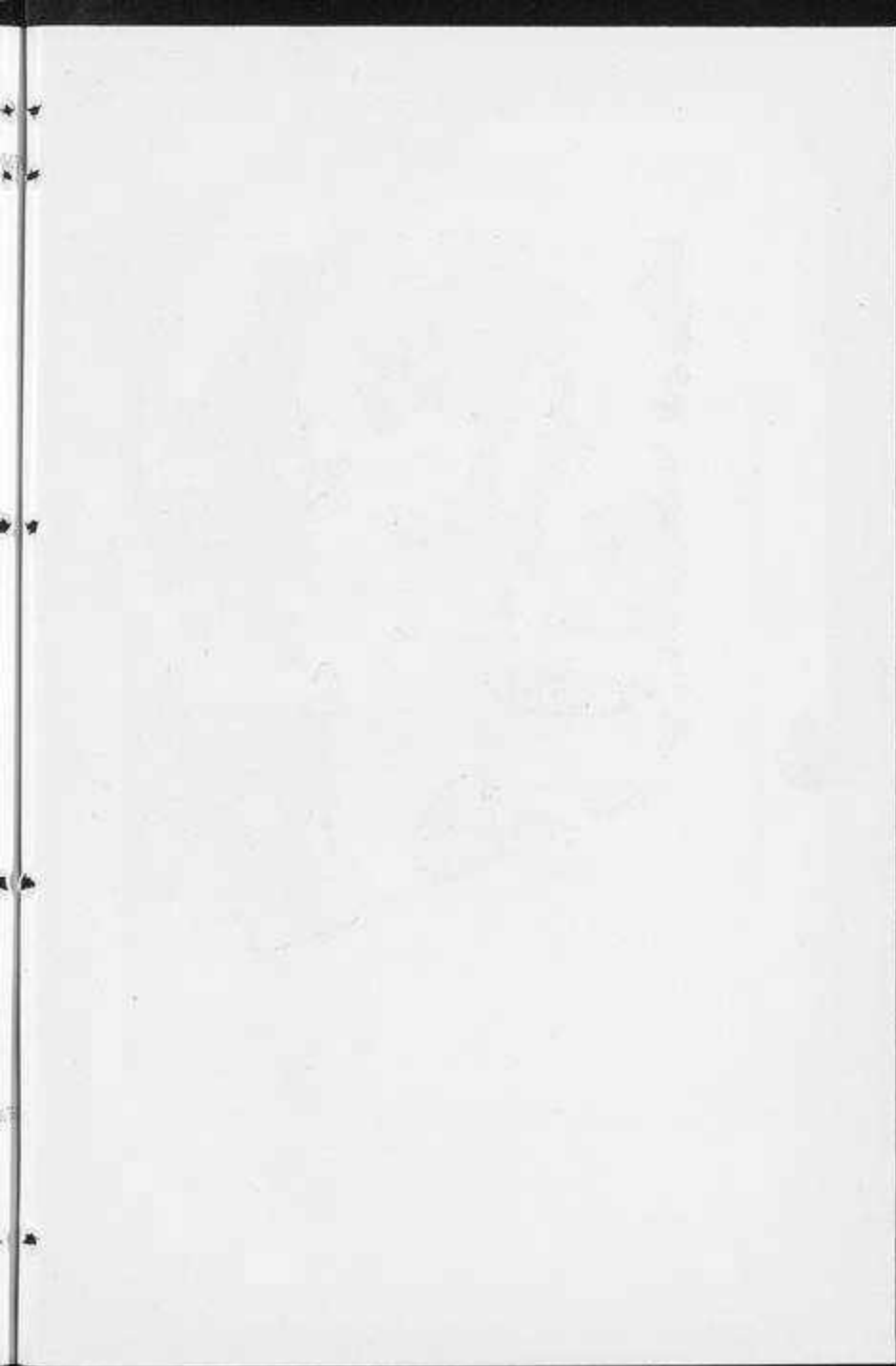


وَجَنَابُ السَّاقِي الْمَخْلَدُ يَمْلَأُ
كَأْسَ هَذَا الْوُجُودِ نِدَاً وَمِثْلًا ؛
حَبَبُ الْكَأْسِ ، عِنْدَهُ ، أَلْفُ أَلْفٍ
مِثْلُ خَيَّامِهِ الْمُضِيِّ شِهَابًا



أهذه الخزاف قد فقت حذقا ولقد فزت في الصناعة سبقا

[ص ٧٢]



أَعْلَى الْكَوْنِ نَابِكَ الْوَسْوَاسُ ؟
لَا عَلَى الْكَوْنِ ، بَلْ عَلَيْنَا الْبَاسُ ؛
نَحْنُ نَمُضِي ، وَالنَّاسُ فِي الْأَرْضِ نَاسُ ؛

وَدِيَارُ الْوُجُودِ ، أَيُّ دِيَارٍ ؛
لَمْ تَكُنْ ، قَبْلَنَا ، بِذَاتِ افْتِقَارِ ،

لَا وَلَا ، بَعْدَنَا ، تَبِيَهُ افْتِخَارًا
بِالْأَلَى ، دُونَهُمْ ، نَذُوقُ الصَّابَا

صَاحِ ، هَذِي قَوَافِلُ الْأَيَّامِ ،
تَهْبُ الْعُمُرُ ؛ فَاسْتَجِرْ بِالْمُدَامِ ،
وَتَمَلَّصْ مِنْ حِيلَةٍ ، وَأَهْيَامِ ،

لَعَدِ فِيهِ سَوْفَ يُبْكَى عَلَيْنَا ؛
وَقَلِيلٌ مِنَ الزَّمَانِ لَدَيْنَا ؛

فَاغْتَنِمْهُ ؛ وَأَسْكُبْ ، وَهَاتِ ، وَخُذْهَا ؛
وَأَسْتَهَبْ فُرْصَةَ الْبَقَاءِ أَنْتَهَا بَا

نَفْسٌ . . . بَيْنَ شَكِّنَا وَالْيَقِينِ ؛

نَفْسٌ . . . بَيْنَ كُفْرِنَا وَالْإِيمَانِ ؛

كَمْ نَفْسٍ غَالٍ ، وَكَمْ مِنْ ثَمِينٍ ،

دُونَهُ ، قِيمَةٌ . . . قَعْمٌ نَتَمَتَّعُ ،

قَبْلَمَا يَنْزِلُ الْقَضَاءُ ؛ فَيُقْطَعُ ؛

لَيْسَ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ إِلَّا

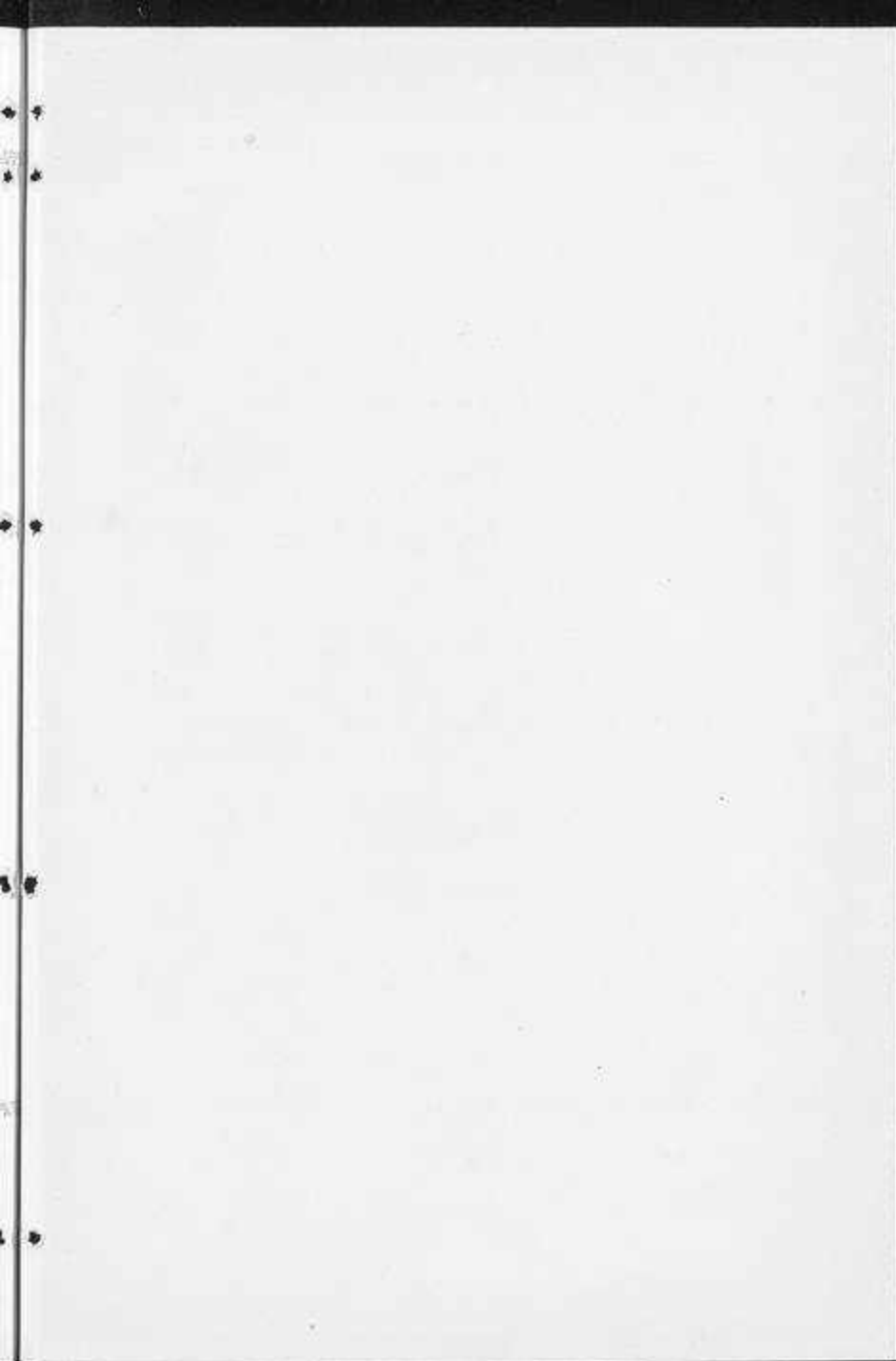
نَفْسٌ وَاحِدَةٌ يُبْتُ أَقْتَضَابًا

واحد



حَدَّثَنِي نَفْسِي ، وَقَالَتْ ، فَضُولًا :
عَلَّمَنِي الْمَعْلُومَ وَالْمَجْهُولَ ،
إِنْ تَكُنْ عَالِمًا بِسِرِّ الْهَيُولَى ؛
« أَلِفٌ » قُلْتُ ؛ قَالَتْ النَّفْسُ : يَكْفِينِي ؛
إِنَّ سِرَّ الْأَسْرَارِ أَوَّلُ حَرْفٍ ؛
وَاحِدٌ ، وَاحِدٌ ، هُوَ الْكُلُّ فِي الْكُلِّ ؛
وَحَرْفٌ ، سِفْرًا حَوَى وَكِتَابًا

النشيد الثاني



أَقْبَلَ الْفَجْرُ ، بِهَجَّةٍ يَتَسَلَّلَا ؛
فَأَطْرَحَ عَنْكَ بِحَمَمِهِمُ وَالْجِدَالَ ؛
لَا تَرَدُّ مُشْكَلَاتِنَا إِشْكَالًا ،

وَإِذَا مَا الْحَبِيبُ لَاحَ وَمَالًا ،
بَعْدَ مَا جَدَّلَ الشُّعُورَ الطُّوَالَ ،

فَلْتَكُنْ طُرَّةُ الْحَبِيبِ يَمِينًا
مِنْكَ ، وَالْكَأْسُ مِنْ يَدَيْكَ ، شِمَالًا

صَاحٍ ، دَعَهُمْ يُعَلِّلُونَ الْوُجُودَا ،
وَيُمَارُونَ ، قَوْمًا ، وَقُعُودَا ؛
فَنَدَّ الْجَهْلُ رَأْيَهُمْ تَفْنِيدَا ؛

قَطَّقُوا الْكَرَمَ حَضَرِيًّا ، أَوْ زَيْبِيًّا
جَفَّقُوهُ ، وَلَمْ يَذُوقُوا الْعَجِيبَا

رُوحَ بِنْتِ الْكَرَمِ الزَّكِيَّةِ ؛ فَلْتِي
سَلَّ عَقْلُ الْمُعَلِّلِينَ اعْتِلَالَا

إِنَّ عَقْلِي ، ضَيَّاعٌ عَقْلِي ؛ وَدِينِي ،
قِلَّةُ الدِّينِ ؛ وَاحِدٌ يَكْفِينِي ؛
بَعْدَ شَكَايَ ، فِي الْخَمْرِ جَاءَ يَقِينِي ؛

وَنَلَّائِي ، دِينِي وَعَقْلِي ، بَمَاتَا ،
بِتُ طَلَّقْتُ ؛ فَأَخْطَبُوا لِي الْفَتَانَا ،

بِئْتَ كَرِيمٌ ؛ وَكُنْتُ أَشْرَبُ رَطَلًا ،
فَأَجْعَلُوهُ فِي غُرْسِنَا أَرْطَلًا

الكاف والواو والتون

أَتَرَاهُمْ ، وَقَدْ تَوَلَّتْ قُرُونُ ،
أَعْجَزَتْهُمْ كَافٌ وَوَائِ وَنُونُ ؟
صَاحِرْ ، إِنَّ تَتَّبِعِ الْحَيَاةَ الْمُنُونُ ،

قَقْلٍ : الْكَافُ ، كَافُ سُكْرِ الرَّحِيقِ ؛
وَقَلٍ : النَّونُ ، نُونُ نَوْمٍ عَمِيقٍ ؛

وَقَلٍ : الْوَائِ ، عِلَّةٌ ؛ هِيَ وَائِ الْ-
مَوْتِ ؛ وَهَآ : كَمْ غَيَّرَتْ أَحْوَالَآ



وَالسَّمَاوَاتِ . . . لَا تَعُدُّ وَتَدْعُ ؛

قَمَّانٍ، إِنْ قُلْتَ، أَوْ قُلْتَ، سَمِعُ،

لَيْسَ فِيهِنَّ، يَا أَخَا الْعَيْشِ، سَمِعُ ؛

خَلَّ عَنْكَ الْقَضَاءُ وَالْأَقْدَارُ ؛

سَوْفَ تَقْضِي، وَمَا تَقْدَرُ صَارًا ؛

يَوْمُكَ الْيَوْمُ ؛ أَمْسٍ وَلِي، وَأَنْتَ

لَكَ مِنْهُ، أَوْ مِنْ غَدٍ، أَنْ تَفْلَا

فِي خُمَارِي أَبْصَرْتُ أَنْ مَرَّ قُرْبِي ،
شَبَّيْحٌ ، حُبُّهُ تَمَلَّكَ قَلْبِي ؛
فَتَدَانِي ، وَقَالَ : تَشْرَبُ نَخْجِي ؛

رَحِمَ اللَّهُ كُلَّ مَنْ قَالَ شِعْرًا ؛
رَحِمَ اللَّهُ كُلَّ مَنْ ذَاقَ خَمْرًا ؛

هَكَذَا قَالَ لِي خَيَالُ حَبِيبِي ؛
وَبَصَحَوِي ، ضَيَّعْتُ ذَلِكَ الْخَيَالَ

٤٧

صَاح ، خَلَّ النَّيْتَيْنِ وَالسَّبْعِينَا
مِلَّةً تَنْشُدُ الْهَدَى أَجْمَعِينَا ؛
وَأَشْفِ دَاءَ فِي جَانِبَيْكَ دَفِينَا ؛

وَاتَّبِعْ مِلَّتِي ؛ وَحَسْبُكَ مِلَّةُ ؛
كَأْسُ خَمْرٍ تَشْفِيكَ مِنْ أَلْفِ عِلَّةُ ؛

كَيْمِيَا لَا تُرْضِيكَ ؛ فَأَشْرَبْ ، وَحَوْلِ
حَالَ بُؤْسٍ نَعْمًا ، يَسُرُّكَ حَالًا

رَبِّ، رُمَحَاكَ، ثُمَّ رُمَحَاكَ، رَيِّ؛

يَيْنَ مَيْلٍ وَوَارِعٍ حَارَ لُبِّي؛

أَيَّ دَاعٍ أَعْمِي؟ وَأَبَا أَلْجِي؟

أَنْتِ كَوْنَتْهَا، فَكَانَتْ كُمَيْتَا؛

ثُمَّ عَنْ حُسْنِهَا الْبَدِيعِ نَهَيْتَا؛

فَكَقَوْنِي: أَنْ أَقْلِبَ الْكَأْسَ يَاسَا

فِي، وَلَكِنْ لَا تُهْرِقِ السَّلْسَلَا

هنا ، فاسقياني

٤٩

أَمِنْ الْحَقِّ هَجَرُ بِنْتِ الدِّانِ ،
والتَّصَانِي لِلْخُورِ وَالْوِلْدَانِ ؟
هَاهُنَا ، هَاهُنَا ، أَنَا ، فاسقياني !

أَيُّرُدُّ الظَّمَانُ مَاءَ زُلَالَا ،
وَيُنَاجِي سَرَابَهُ وَالْآلَا ؟

أَيُّ بَأْسٍ أَنْ تُشْكِرَانِي حَالًا
إِنْ نَكُنْ سَوْفَ نَشْكُرُ اسْتِقْبَالًا ؟

ولنا الجنة

عَبْدُ حُسَيْنٍ ، وَعَايِدُ الصَّهْبَاءِ ،
فِي نَعِيمٍ مِنْ جَنَّةٍ وَسَّمَاءِ ،
لَا الْمُرَائِي ؛ فَالْقَارُ مَمْنُونِي الْمُرَائِي ؛



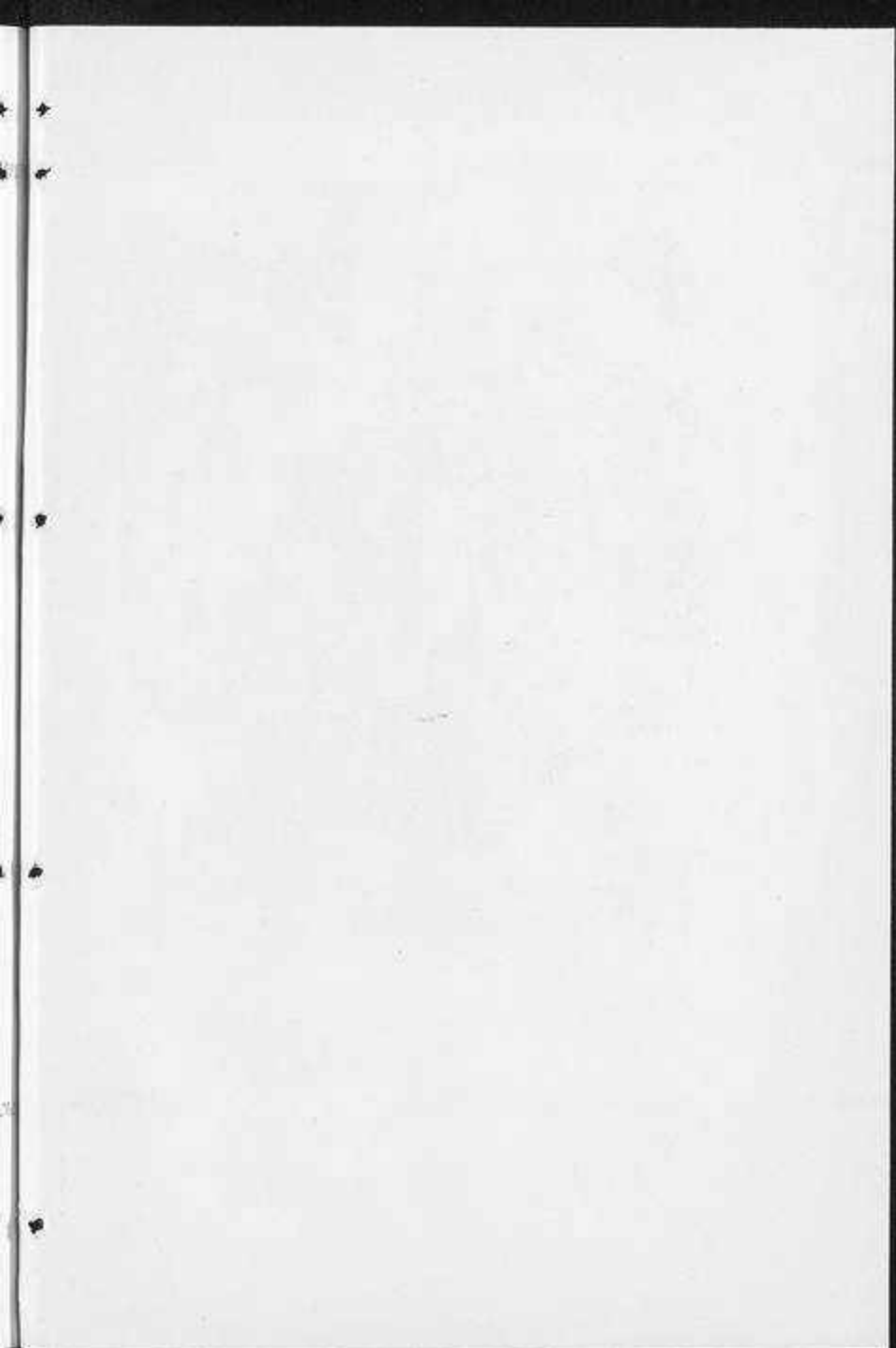
وَلَيْنُ صَحَّ أَنْنَا — الْعُشَّاقَا ،
وَالنَّدَامَى — هُنَاكَ لَنْ نَتَلَاقَى ،

عَمْرُكَ اللَّهُ ، يَا نَدِيمُ ، فَقُلْ لِي :
مَنْ سِوَى اللَّهِ فِي السَّمَاءِ تَعَالَى ؟



فتكن طيرة الحبيب يميناً منك والكأس من يدك شاملاً

[ص ٨٣]



مِنْ تَعَالِيمِ دَيْرِهِمْ وَالْكُنَيْسِ ،

وَتَسَابِيحِ صَوْمَعِي حَيْسِ ،

وَشُرُوحِ الْأَشْيَاخِ فِي التَّدْرِيسِ ،

وَوُعُودِ مَقْرُونَةٍ بِوَعِيدِ ،

هَآكَ مُحَضَّاتِ الْيَقِينِ بِأَتَوْ كَيْدِ :

إِنْ ذَوْتَ زَهْرَةٍ أُنْظِرَ أَمَى وَمَاتَتْ

كَأَنَّ إِحْيَاؤَهَا الْمُحَالُ الْمُحَالَا

لا رجوع

٥٢

عن سُراقَةٍ ، بَانُوا ، سَأَلْتُ الدِّيَارَا :

مَنْ رَسُولٌ يَرْوِي لَنَا أَخْبَارَا ؟

قَالَ لِي الْحَيُّ : لَوْ سَأَلْتَ الْحِجَارَا ؛

فَتَمَتَّعَ ؛ وَلَا تَدَّعُ فِي الرُّبُوعِ ،

مِنْ عَرَارٍ تَلْقَاهُ بَعْدَ الرُّجُوعِ ؛

لَا رُجُوعٌ ؛ وَلَا مَحَالَّةٌ ، إِنَّا

تَارِكُوهَا ، وَمُزْمِعُوهُ ارْتِحَالَا

آين الشموع ؟

٥٣

سَادَةُ الْفَضْلِ وَالْحِجَبَا وَالْعُلُومِ ،

وَشُمُوعُ الْهُدَى بِلَيْلِ بَرِّمِ ،

بِالْأَسَاطِيرِ ، وَالْحَدِيثِ الْقَدِيمِ ،

حَدِّثُونَا . . وَاسْتَعْرِقُوا فِي السُّبَاتِ ،

وَاضْمَحَلُّوا فِي دَامِسِ الظُّلُمَاتِ ؛

مَا اهْتَدَيْنَا ؛ وَلَا هُدَيْنَا ؛ وَكُنَّا

فِي ضَلَالٍ كَافٍ ، فَزِدْنَا ضَلَالًا

كَيْفَ، يَا رُوحُ، تَلْبَسِينَ الْهَوَانَا،
أَنْ لَبِستِ الْأَجْسَادَ وَالْأَبْدَانَا ؟
فَأَخْلَعِيهَا، ثَوْبَ الْبِلَى، أَكْفَانَا؛

مَزِقِي اللَّحْمَ وَالْعِظَامَ، وَعُودِي،
لِدِيَارِ الْعُلَى وَعَرْشِ الْخُلُودِ ؛

بُنَسْ هَذَا الْجُمَانُ لِلرُّوحِ دَارًا
حَيْثُ تَشْقَيْنَ غُرْبَةً وَاعْتِقَالًا



أَيْ هَذَا الْخَيَْامُ ، مَا الْأَجْسَامُ ،
لِلنَّفُوسِ - الْأَرْوَاحِ - إِلَّا خَيَْامٌ ؛
وَلِحِينَ ، إِنَّ طَابَ فِيهَا الْمَقَامُ ؛

ثُمَّ يَهْجُرُهَا إِلَى « لَا مَكَانَا » ؛
ثُمَّ هَذَا الْخَيَْامُ يُصْبِحُ « كَانَا » ؛

وَيَتَلَكَّ الْأَطْنَابِ يَنْزِلُ مِقْرًا
ضَانٍ ، حَتْمًا ، مَا أَخْلَفَا آجَالَا

قُلْتُ : يَا نَفْسُ ، أَيْنَ مِنِّي الْقَضَاءُ ؟
أَيْنَ مِنْكَ الْجَحِيمُ ، أَيْنَ السَّمَاءُ ؟
فَأَجَابَتْ أَمَّا رَتِي الْحَوْبَاءُ :

فِيَّ ، فِيَّ ، الْأَفْلَاكُ وَالْأَقْدَارُ ،
فِيكَ ، فِيكَ الْفِرْدَوْسُ ، فِيكَ النَّارُ :

ذَا سُؤِلِي ، وَذَا جَوَّابُكَ ، يَا نَفْسُ
سُ ، وَكُنْتُ الْحَيْرَانُ فِيهِ سُؤَالَا

منا ، وفينا

٥٧

كُلُّ شَيْءٍ مِنَّا ، وَفِينَا ، يَكُونُ ،

أَنَا أَوْ أَنْتَ . . كَوْنُنَا مَسْكِينُ ؛

أَذْمُعُ ، مِنْ عِيُونِنَا ، جَيْحُونُ ؛

وَشَرَارُ ، مِنَ الْكُبُودِ ، الْجَحِيمُ ؛

وَتَوَانٍ ، مِنَ الشُّرُورِ ، النَّعِيمُ ؛

بَيْنَ حَالَيْنِ مِنْ هَنَاءٍ وَهَمٍّ

كُلُّ مَرءٍ يَخْتَارُ لِلْعَيْشِ حَالًا

فَلَكَ دَائِرٌ ، وَحَيْرَى ظِلَالِ ؛

وَخَيَالٌ يَنْسَابُ خَلْفَ خِيَالِ ؛

وَحُذِ الْكَوْنُ كُلُّهُ بِالْمِثَالِ ؛

شَمْعَةٌ ، شَمْسُهُ ؛ وَمِثْلُكَ يَدْرِي ؛

هُوَ مِثْلُ الْفَانُوسِ ؛ فَانُوسٌ سِجَرِ ؛

صُورٌ ، نَحْنُ ؛ حَرًّا كَتَبَهَا اللَّيَالِي ؛

وَحَيَارَى ، وَكَأْظِلَالِ انْتِقَالِ

وَأُرْوِ عَنِّي ، حَقِيقَةً ، فِي الْحَقَائِقِ ،
لَا مَجَازًا عَنْ صَادِقٍ ، عَنْ صَادِقٍ :
فَلَكُ لَأَعِيبُ ؛ وَنَحْنُ الْبَيَّادِقُ ؛

نُطْعُ هَذَا الْوُجُودِ - قَبْلَ الْفِرْنَجِ -
يَا أَخَا الْعَيْشِ ، رُقْعَةُ الشُّطْرَنْجِ ؛

بَيِّدَقًا ، بَعْدَ بَيِّدَقٍ ، تَتْرُكُ الرُّقْدَ
عَمَةً ، « مَوْتًا » ؛ وَلِلْغَمَا نَتَنَالِي



نَحْنُ وَالْعَيْشُ ، لُعْبَةُ الْجَوِّ كَانَ ؛
 مِنْ مَسْكَانٍ يُرْمَى بِنَا لِمَسْكَانٍ ،
 كَيْفَمَا شَاءَهَا « أَبُو صَوَّالِجَانِ » ؛

نَحْنُ تِلْكَ الْكَرَاتُ ؛ وَالْخَيَالُ ،
 قَدَرٌ ، جَلَّ قَدْرُهُ وَالْجَلَالُ ؛

ضَرْبَةٌ بَعْدَ ضَرْبَةٍ ، مِنْ يَدَيْهِ
 تَتَلَقَّى ؛ لَا نَسْأَلُ الْخَيَالَ

لا تعالج

٦١

لَا تُعَالِجْ مُعْوجَّهَا تَقْوِيمًا ؛

سَلِّمْ الْأَمْرَ ، وَاحْمَدِ التَّسْلِيمَ ،

لِلَّذِي كَانَ بِالْمَصِيرِ عَلِيمًا ؛

خُطَّ مَا خُطَّ مِنْ سُطُورِ الْقَضَاءِ ؛

لَا تُحَاوِلْ إِبْدَالَ بَاءٍ بِبَاءٍ ؛

قَلَمٌ كَاتِبٌ ، وَرَبٌّ عَلِيمٌ

وَتُرِيدُ التَّعْدِيلَ وَالْإِبْدَالَ ؟

أمرنا الله

٦٢

أَمْرُنَا لِلْقَضَاءِ ؛ والدَّوَّارُ

فَلَكَ كَادَ يَعْتَرِيهِ الدَّوَّارُ ؛

وَلَتِلْكَ النُّجُومُ ، والأَقْمَارُ ،

وَالثُّرَيَّا ، والمُشْتَرِي ، وَالْمَجَرَّةُ ،

عَجَزُهَا ، ضِعْفُ عَجَزِنَا أَلْفَ مَرَّةٍ ؛

فَالِئِنَّهَا لَا تَعَزُّونَ سَعُودًا

أَوْ نُكُودًا ، وَعُدَّهَا أَمْثَالًا

كُلُّ شَيْءٍ مُّسَطَّرٌ ، مَكْتُوبٌ ؛
 ذَاكَ لَوْحٌ عَنِ الْوَرَىٰ مُحْجُوبٌ ،
 فِيهِ آمَالُنَا ، وَفِيهِ الْخُطُوبُ ؛
 وَالْمَوَاضِي ، كَمَا كُتِبْنَ ، سُطُورٌ ؛
 وَالْأَوَاتِي مُقَدَّرَاتٌ تَصِيرُ ؛
 لَاؤُهُ لَاؤُهُ ؛ بَلَاهُ بَلَانَا ؛
 لَسْتَ تَمَحُورُ «بَلَىٰ» لَتَكْتُبَ «لَا».. لَا!

مَا يُبْلَا قِيَهُ مُضْبِحٌ أَوْ مُمَسِيٌّ ،
مِنْ سُعُودٍ أَوْ مِنْ طَوَالِعِ نَحْسٍ ،
كَانَ فِي الْعَيْبِ قَبْلَ أَوَّلِ أَمْسٍ ؛

وَبِذَاكَ الْحِجَابِ ، سَوْفَ تَمُرُّ ،
وَوَرَاءَ الْحِجَابِ ، لِلَّهِ ، سِرٌّ ؛

سُرٌّ ، وَاشْرَبْ ، فَسَوْفَ تَمُضِي كَاجِئَةٍ
تَ ، وَلَمْ تَدْرِي ، حِينَ تَمُضِي انفِصَالًا

قَسَمِي

٦٥

عِنْدَمَا أُسْرِجَ الْحَيَادَ ، وَهَيَّا ،
لِعَلَى الشَّمْسِ مَوْكِبًا ذَهَبِيًّا ،
وَحَبَانًا بِالْمُسْتَهْرِي والثُّرَيَّا ،

قَامَ فِي الْغَيْبِ ، لِلْقَضَا دِيْوَانُ ؛
وَنَصِيْبِي ، مَا رَجَحَ الْمِيزَانُ ؛

قَسَمَتِي .. مَا تَرَوْنَ فِيَّ وَمِثِّي ؛
فَاعْلَمُوا .. إِنَّ ذَمِّمْتُمُ الْأَفْعَالَا

سكبر

٦٦

يَعْلَمُ اللهُ أَنَّنِي سَكْبَرُ ؛

وَهُوَ أَمْرٌ عِنْدَ الْعَلِيمِ يَسِيرُ ؛

وَنَظِيرِي ، بَيْنَ الْكِرَامِ ، كَثِيرُ ؛

يَعْلَمُ اللهُ ؛ يَعْلَمُ اللهُ ، فِعْلًا ؛

رَبِّ ، حَاشَاكَ ، لَيْسَ عِلْمُكَ جَهْلًا ؛

فَرَقَاتِي مَمْلُوءَةٌ ، وَدِنَانِي ؛

وَأَنَا أَشْرَبُ الْكُؤُوسِ امْتِنَالًا



وَكَمَا شَاءَ ، فَلْيَعِدَّ الْكَوْثَرُ ،
لِي شَرَابًا ، أَوْ السَّعِيرُ ، فَأُصْهِرَ ؛
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ؛

غَيْرَ أَنِّي أَرَى الْمُنَاجَاةَ سِرًّا ،
وَابْتِهَالِي ، بَيْنَ الدِّنَانِ ، أَبْرَأَ ؛

مِنْ صَلَاةٍ يَتْلُونَهَا بِقُلُوبٍ
لَا تُصَلِّي ، وَلَا تُرِيدُ ابْتِهَالًا

أَنْتَ ، يَا خَالِئِي ، وَجَابِلَ طِينِي ،
يَا عَلِيًّا قَبْلِي بِسِرِّي الدِّفِينِ ؛
مِنْكَ يُسْرَايَ ، نِعْمَةً ، وَيَمِينِي ؛

مِنْكَ رُوحِي ، وَمِنْكَ لَحْمِي وَعَظْمِي ؛
وَالَّذِي جِئْتُهُ ، فَمِنْكَ بِحُكْمِي ؛

فَلَمَّاذَا ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ
رَأَعَانِي ؛ فِي وَجْهِكَ ، الْأَهْوَالِ ؟

أنا ... وأنت

٦٩

أَنَا عَبْدُ عَاصٍ ، رَجَوْتُ رِضَاكَ ،
وَفُؤَادِي الْمُظْلَمُ رَجَى ضِيَاكَ ،
فَتَفَضَّلْ ، وَاسْكُبْ عَلَيْنَا صَفَاكَ ؛

رَبِّ حَاشَاكَ أَنْ تَبِيعَ النَّعِيَا ،
بِيعَ سَوْمٍ ، إِنْ كُنْتَ رَبًّا رَحِيمًا ؛

أَفَأَنْتَ الْمَدِينُ يَدْفَعُ دَيْنًا ؟
أَمْ كَرِيمٌ يُعْطِي نَدَى وَنَوَالًا ؟

ما أنا لولاك ؟



وَلِمَاذَا نَصَبْتَهَا أَشْرَاكَ ؟

أَلِأَلْقَى ، عَلَى يَدَيْكَ ، الْهَلَاكَ ؟

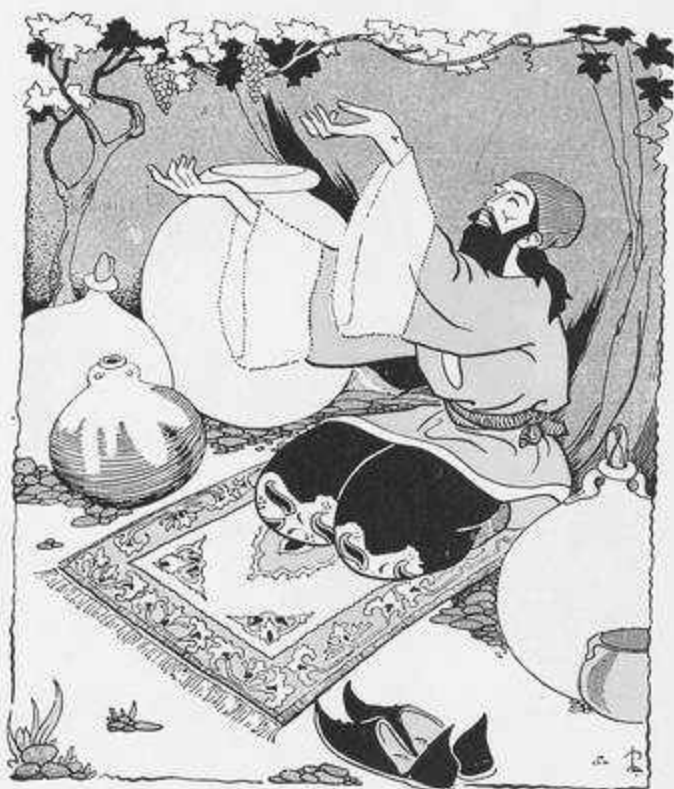
رَبِّ ، يَا رَبِّ ، مَنْ أَنَا ، لَوْلَاكَ ؟

أَفَحُكْمًا أَقَمْتَهَا ، ثُمَّ قُلْنَا :

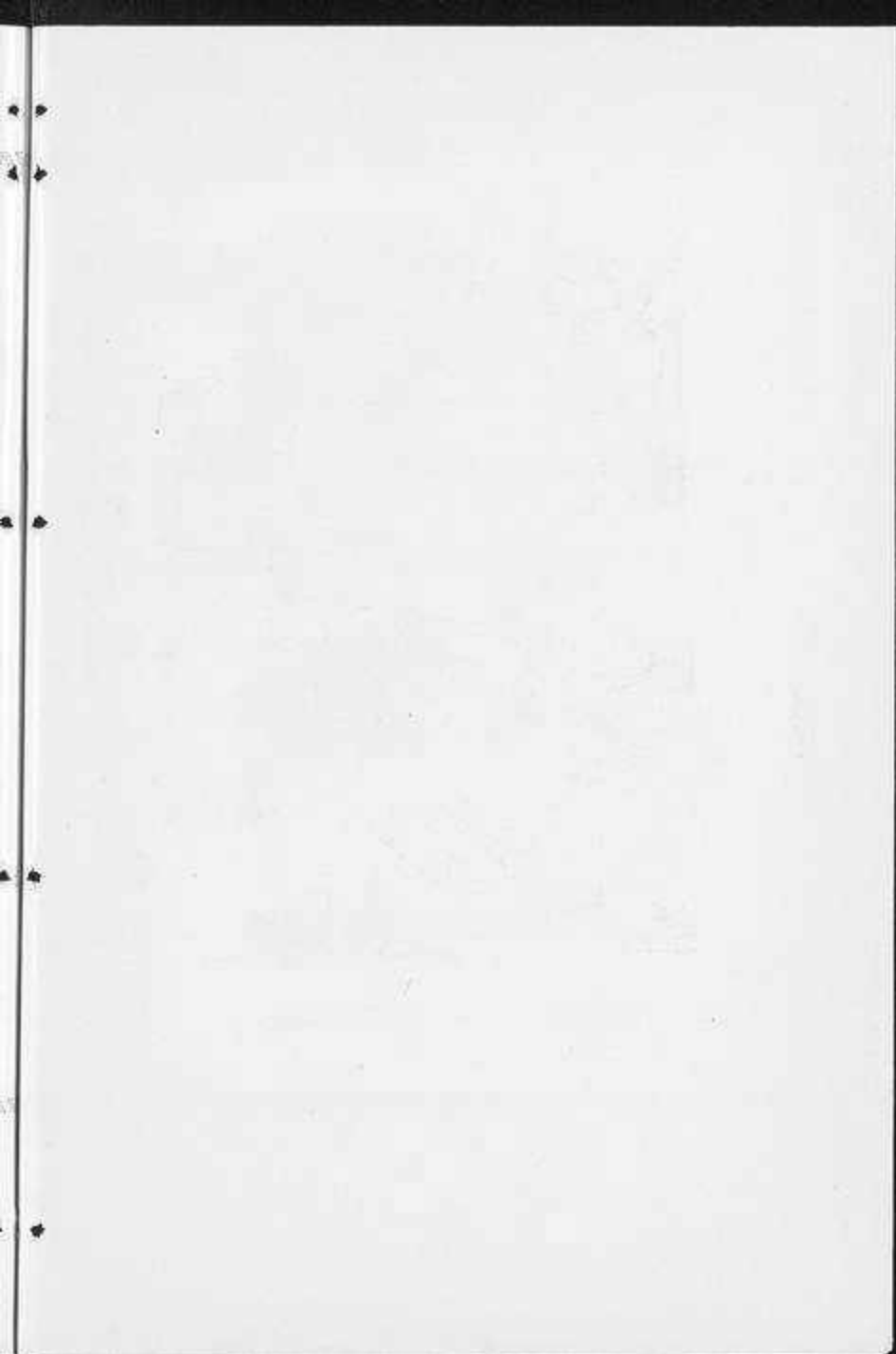
أَخْطُ ؛ وَاعْلَمْ ، أَنِّي خَطَوْتُ قَتَلْنَا ؟

كُلُّ فِعْلٍ آتِيهِ ، حُكْمٌ مُطَاعٌ ؛

وَبِحُكْمٍ أَطِيعُكَ اسْتِغْنَاءً



غير أنى أرى المناجاة مراً وأبتهالى ، بين الدنان ، أبرءا
 [ص ١٠٩]



أَتُوبُ ؟

٧١

أَنْتَ يَا عَالِمًا بِذَاتِ الصُّدُورِ ،
وَمُقِيلَ الْعَبْدِ الْكَثِيرِ الْعُورِ ،
هَبْ لِهَذَا التَّدْمَانِ ، قَبْلَ النُّشُورِ

تَوْبَةً حَقَّةً تَكْفُ يَدَيْهِ ،
عَنْ كُؤُوسِ مُشَعَّعَاتِ لَدَيْهِ ؛

ضَيَّقَتْ صَدْرَهُ طَوَالُ اللَّيَالِي ؛
وَبِهَآ قَصَّرَ اللَّيَالِي الطَّوَالَا

وكيف أتوب ؟

٧٢

مِلْ صَدْرِي أَوْصَابُهُ وَالْكَرُوبُ ،
يَا نَدَامَى ، وَهِيَ الدَّوَالِ الْعَجِيبُ ؛
— طَالَ عُمْرُ النُّدَمَانِ — كَيْفَ أَتُوبُ ؟

فَبِأَوْزَاقِ كَرَمَةٍ كَفَّنُونِي ؛
وَبِكَرَمِ بَيْنِ الدَّوَالِ اذْفَنُونِي ؛

وَاعْسِلُونِي بِالْخَمْرِ صِرْفًا ، سُلَافًا ،
سَلْسِيلًا ، صَفْوًا ، زُلَالًا ، حَلَالًا

وليقلوا

٧٣

لَا تَ يَوْمِي وَالْعُمُرُ سُكْرًا تَقْصَى ؛

لَمْ أَقْوِتْ لِخَمْرٍ ، عُمرِي ، فَرَضًا

هَاتِ إِبْرِيْقَهَا ؛ وَقُمْ نَتَوَضَّأْ

وَلْيَقُولُوا لِمَنِي هَتَكْتُ السِّتَارَا ،

وَتَبَهَّدْتُ فِي عُيُونِ الشُّكَارَى ؛

أَنَا نَعَمَ الْمَسْتَوْرُ ، أَنْ شُقَّ سِتْرِي

وَتَسَرَّ بَلْتُ نَشْوَتِي سِرًّا بِالْأَ

وأنا مازح

٧٤

فِي صَبَاحِي أَقُولُ : تَبْتُ ، وَأُمْسِي ،

وَحَيِّبِي بَيْنَ الْبَيْدَيْنِ وَكَأْسِي ؛

فَارْجُ لِي تَوْبَةً ، وَدَعْني بِيَأْسِي ؛

وَاخْذِ الْوَعْدَ ، كَالْوُعُودِ ، مِزَاحًا ؛

كَيْفَ أَسْأَلُو ، قَبْلَ الْفِرَاقِ الرَّاحَا ؟

كَوْصَالِ الْحَبِيبِ ، عُمرِي ، لَحِينِ ،

وَزَمَانِ ؛ مَا إِنَّ يَدُومَ وَصَالَا

غنى، وطار

٧٥

سِفْرُ هَذِي الْحَيَاةِ ، حَانَ خِتَامُهُ ؛

وَتَدَاعَتْ بِأُيُنِ الْخِيَامِ خِيَامُهُ ؛

وَتَدَانَتْ مِنْ حَدِّهَا أَيَّامُهُ ؛

وَلِيَالِي الرَّيِّعِ كُنَّ قِصَارًا ؛

وَهَزَّارُ الشَّبَابِ غَنَى وَطَارًا ؛

يَا هَزَّارَ الشَّبَابِ ، مَا كُنْتُ أَرْضَى

مِنْكَ هَذَا ؛ تَعَالَ ، غَنِّ ، تَعَالَ

لَيْتَ شِعْرِي ، أَبَعَدَ يَوْمَ التَّنَائِي
والتَّوَارِي عَنْ صُبْحِهِ وَالْمَسَاءِ ،
كَفْتَةً صَوَّبَ هَذِهِ الْأَحْيَاءُ ؟

حُبَّ أُنِّي ، مِنْ بَعْدِ أَلْفٍ بِأَنْفِ .
مِنْ سِنِينَ يَمْضِينَ كَالْأَمْسِ خَلْفِي

مِنْ تَرَابِي أُطْلُ ، كَالنَّجْمِ ، حَيًّا
فَأُحْيِي الرُّبُوعَ وَالْأُطْلَالَ

كَلَيْتَ شِعْرِي فِي هَذِهِ الْأُمْنِيَّةِ :
 لَوْ يُعِيدُ الرَّحْمَانُ خَلْقَ الْبَرِيَّةِ ،
 وَأَنَا عَنْ يَمِينِهِ الْعُلُويَّةِ ،
 لَتَضَرَّعْتُ ، قَائِلًا : لَا يُقَدِّرُ ،
 لِي وَجُودٌ ، وَلِيُصَحَّحَ لِي أَسْمُ تَسْطَرٍّ ؛
 أَوْ ، فَقَدِّرْ لِي الْكَفَافَ ، فَأَرْضَى ،
 وَأَهْنِيكَ يَوْمَ أَهْنَأُ بَالًا

ليت ، ولو

٧٨

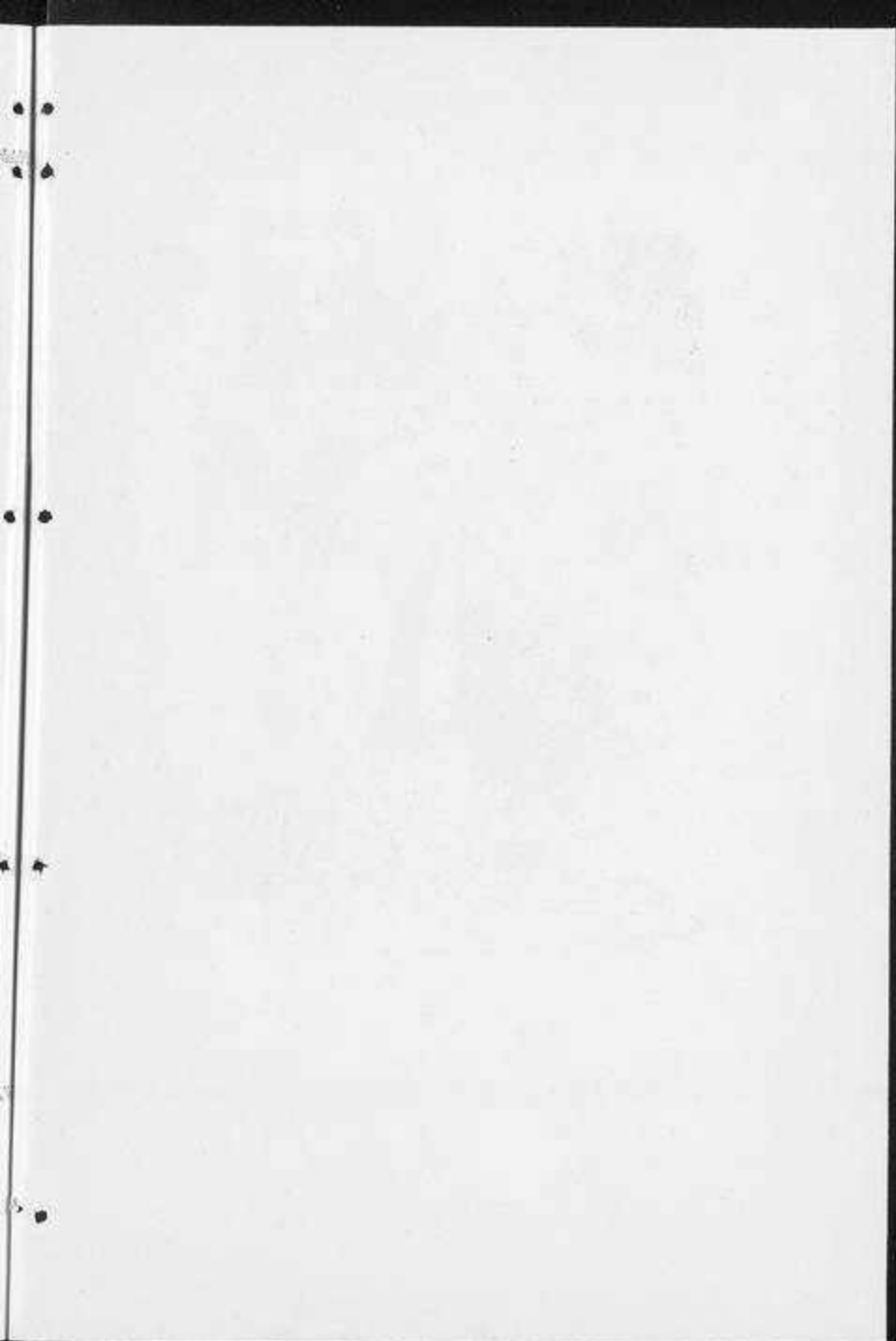
يَا حَبِيبِي ، مَا حَيَاتِي ؟ مَا اقْتَدَارِي ؟
حُكْمُ رَبِّ الْأَفْلَاقِ فِي الْكَوْنِ جَارِي ؛
وَلَوْ أَنِّي مَقْدِرُ الْأَقْدَارِ ،

لَاغْتَدَى الْقَلْبُ بِالْأَمَانِيِّ حُرًّا ،
لَا يُعَانِي مِنْ «لَوْ» وَ«لَيْتَ» الْأَمْرَ ؛

وَيُخِ قَلْبَ الْإِنْسَانِ ، كَمْ يَتَمَنَّى ؛
وَمَحَالٌ ، دُونَ الْأَمَانِيِّ ، حَالًا



وَيَكُنُّ السَّلَافُ ، قَفْ فَوْقَ قَبْرِى ۚ وَاسْكِبِ الْحَمْرَ فَوْقَ عَشِيٍّ وَزَهْرِيٍّ
[ص ١٢٢]



يَا حَبِيبِي مَنْ لِي سِوَاكَ ؟ وَمَنْ لِي
 بِفَسَادٍ مِثْلِ يَوْمِكَ الْمُتَجَلِّي ؟
 فَأَغْتَنِمُهُ ؛ وَخَلَّ هَمَّكَ ، خَلَّ ؛
 وَأَدْرِهَا ؛ وَأَنْظُرْ أَخَاكَ ، جَمَالًا ،
 يَتَهَادَى بَيْنَ الدَّرَارِي اخْتِيَالًا ؛
 لَيْتَ شِفْرِي ، بَدَرَ السَّمَاءِ ، أَنْحِيَا
 لِنَرَى وَجْهَكَ الْجَمِيلَ هَالَا ؟

يَا نَدِيمِي - وَطَالَ عُمرُ الْقَدِيمِ -

بَعْدَ مَوْتِي ، سَمِيًّا لِعَهْدِي الْقَدِيمِ ،

بِدُمُوعِ الْعَذْرَاءِ ، بِنْتِ الْكُرُومِ

وَبِكَأْسِ السَّلَافِ ، قِفْ فَوْقَ قَبْرِي

وَأَسْكِبِ الْخَمْرَ فَوْقَ عُشْبِي وَزَهْرِي

دَمْعَةً ، دَمْعَةً ، مِنْ الْكَأْسِ ، قَطْرًا ؛

وَارْحَمِ الْحَيَّ ، كَأَن كَوْنًا ، وَحَالًا

تفسير

الفاتحة مستمدة من ثلاث رباعيات مختلفة تجدها في مطلع ثلاث من النسخ الخطية ، وهي من أجل أقواله التي يشير بها إلى إسلامه وقيامه على عبادة الواحد الأحد

٢

النيروز : كلمة فارسية مركبة معناها يوم جديد . وعيد النيروز عند الفرس كعيد رأس السنة عند كل أمة . وهو يقع في أول فصل الربيع .

أما قوله : لاحت في دوحنا يد موسى — فإشارة إلى الآية : « ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين » وفي وادي خراسان نوع من الشجر يزهر دفعة واحدة مثل شجر اللوز عندنا ويكون أول الأشجار إزهاراً . والإزهار من بشائر الربيع
أما قوله : مرّت بالروض أنفاس عيسى — فإشارة إلى ما ورد

(٥) الرقم رقم السباعية .

في الحديث من أن عيسى كان في صغره يلعب مع أترابه ويصنع
لهم عصافير من التراب وينفخ فيها فتطير كأن نفسه أكسبها
الحياة فمرور أنفاسه بالروض دلالة على بزوغ النبات وظهور الزهر

٣

المراد داوود بن سليمان الحكيم . وهو عند العرب والفرس
رب الغناء . وبه يضرب المثل في الصوت كيوسف في الحسن
وأيوب في الصبر

أما البلبل فهو الطائر الموصوف بطلاقة اللسان . وشعراء
الفرس متقدموهم ومتأخروهم كثيراً ما يذكرونه كعاشق متمم
هائم في حب الورد

٥

بلخ : كانت إحدى العواصم في ولاية خراسان
ونيسابور : مسقط رأس الخيام

٦

جمشيد وكايوقباد وزال : من أبطال الفرس وملوكهم الكبار ،
وأخبارهم مسرودة في الشاهنامه

رستم : عند الفرس ، كهرقل عند اليونان ، مثال البأس
وحب القتال ، وهو ابن زال المذكور آنفاً . وحاتم هو العربي
الطائي الطائر الصيت بكرمه

١٣ ١٤

بهرام : أحد ملوك الفرس الأسطوريين ، وكان مغرمًا بصيد
بقر الوحش (جور) فأضيف اسمه إليها

١٥

المراد بمناداة الحمام يوسفًا خلوة القصر من السكان بعد ما كان
أهلاً بهم . والعرب يعبرون عن سجع الحمام بالهديل ، إذ يقولون
إنه كان للحمام ولد يدعى « هديل » وفُقد ، فالحمام ينشده حين
يسجع . ويوسف : ولد الحمام عند الفرس

٢٤

زمنم : بئر حية عند الكعبة . والحيوان : الحياة . ومراده

أن كل ماء يغيب في الأرض ويحتجب ولو كان ماء زمزم المقدس
وكذلك الناس فكلهم يموت ويحجبه التراب

٢٩

الأربع : أي المواد الأربع (التراب والهواء والنار والماء)
والسبع : سبع الطباق أو السماوات . وبنو الأربع والسبع : الناس

٤٠

كانت قيمة الألف في حساب الجمل واحداً (١) فهي رمز
إلى وحدة الله سبحانه . وألف كُفَّت في الفارسية مثل مألوف

٤٢

اتضح للخيام أن اندثار الجسم بعد الموت يكاد يكون غاية
ما يمكن للإنسان أن يدركه من أسرار الكون والوجود . ولذلك
تراه يتشفي من المدّعين استطلاع ما وراء الحجاب واستجلاء
غوامض الآزال والآباد .

عاش الخيام في أيام إغراق الصوفيين وغلوهم في آرائهم الدينية . ولذلك فلا عجب أن نسب إلى نفسه ضياع العقل والخلو من الدين والميل إلى الخمرة عنهما . وكأني به فضل الجنون والكفر على الرياء — إن الله لا يحب المرائين
وبنت الكرم : الخمرة . والرطل والأرطال من ألقاظ الأصل الفارسي في بعض الروايات

انقسام الشعوب إلى ٧٢ ملة قول جري مثلاً في بلاد الفرس . وقد ذكر أحد شراح الرباعيات كلاماً مروياً عن الرسول مآله :
إن أمتي ستتنقسم إلى ثلاث وسبعين ملة جميعها تدخل النار إلا واحدة . والخيام هنا يشير إلى الشيع والطوائف على اختلاف نزعاتها ، ويضرب على نفس الوتر الذي يضرب عليه في السباعيات السابقة

٤٩

الزلال : الصافي . والسراب : ما تراه نصف النهار من اشتداد
الحرّ كالماء يلصق بالأرض ، وهو غير الآل الذي يُرى في طرفي
النهار كأنه بين الأرض والسماء

٥١

الصومعى : نسبة إلى الصومعة ، أي الدبر . والوعيد : الوعد
ولكن بالشر ، فهو التهديد . والإشارة بالوعد هنا إلى الجنة ،
وبالوعد إلى دخول النار

٥٧

جيحون : نهر البكاء أو نهر الدموع ؛ ونهر بهذا الاسم

٥٩

البيذق قطعة (حجر) في لعبة الشطرنج . و « موتاً » من
قولهم « مات الشاه » أو غيره ، في هذه اللعبة . ولا بأس بتصحيح
اسمها إلى صورته المألوفة

٦٠

الجوكان : اسم لعبة فروسية فارسية . وهى لعبة « الغُلف »
المعزم بها الإنكليز اليوم ، وقد أخذوها عن الفرس

٦٤

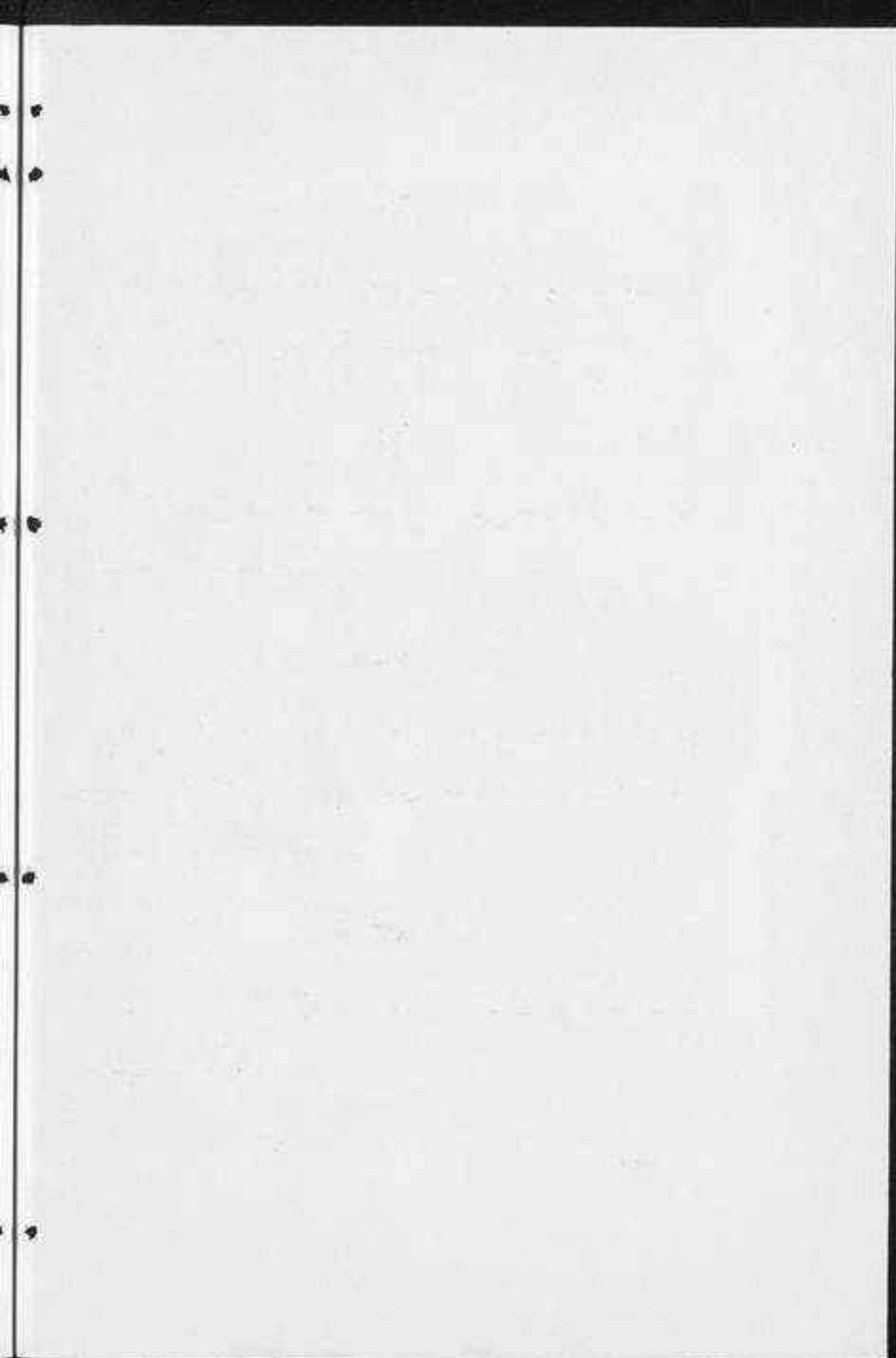
« الانفصال » مفارقة الحياة ، وله معنى خاصّ في الطريقة
الصوفية ، لا حاجة لتفصيله هنا

٧٥

الجزار ، في المعجم : « طائر يغنى ألواناً » وأظنه « الكنار » ،
وأحسبه من الاسم الفارسي الذي معناه « ألف حكاية » .
والأصل ذكر الطير ، ولم يُسمّ

٧٦

النجم : النبات الأخضر القصير يُسْتَنْبَت في الحدائق ،
لتناسب شكله ولونه .



روح الخيام في رباعياته^(١)

بقلم

مصطفى لطفي المنفلوطي

صديقي الفاضل وديع أفندي البستاني
الآن فرغت من قراءة سباعياتك الجميلة التي ترجمت فيها
رباعيات عمر الخيام، فلم أرَ بدءاً من أن أكتب إليك كلمة أصوّر
لك فيها ما استحالت إليه نفسي من الصور عند قراءتها، وما
لا يزال باقياً عندي من الأثر بعد الفراغ منها، فأقول :
إني وقفت بها كما يقف مسافر ضلّ به سبيله في فلات
الأرض ومجاهلها بواد معشوشب زاهر في وسط فلاة جرداء عند
منقطع العمران ، فما خطوت فيه بعض خطوات حتى رأيت ما
شاء الله أن أرى من أنوار بيضاء ، وورود حمراء ، وألوان من

(١) انظر الديباجة ص ٥ ، ٨

النبات ، مشتهيات وغير مشتهيات ، وغدران سلسلة مطردة
تتبسط في تلك الديباجة الخضراء ، تبسط الشهب الثاقبة في
الديباجة الزرقاء ، وأسراب من الحمام والعصافير والكراكي
والبلابل تتطاير من فرع إلى فرع ، وتتناثر من غصن إلى غصن ،
وتجتمع لتفترق ثم تفترق لتجتمع ، وتقتتل مرة وتتلاثم أخرى ،
وتصعد حتى تلامس بأجنحتها جلدة السماء ، ثم تهبط فتقبل
صفحة الماء ، ولا تزال تغرد في صعودها وهبوطها تغريداً مختلف
النغمات ، متنوع اللهجات ، فيتألف من ذلك الاختلاف نغم
بديع لا أعرف له شبيهاً إلا تلك الصورة الخيالية التي أتخيلها في
نغم الحور الحسان في فراديس الجنان

فلم أزل أتلوّح في أعطاف تلك الغلائل الخضراء ، وأجرّ
ذبول تلك الجداول البيضاء ، وأقلب طرفي فلا أرى رائحاً ولا
غادياً ، وأسمع فلا أسمع هاتفاً ولا داعياً ، حتى وقف بي الحظ
على دوحة فرعاء ، مائلة على رأس بعض الجداول ، قد اضطجع
في ظلها على قטיפنة من ذلك العشب الناعم ، رجل هائى باسم .
يقرأ تارة سورة الجمال في وجه فتاة جالسة بين يديه ، ويقبل

أخرى ثغر الكأس التي في يده ، ويترنم فيما بين هذا وذاك
بمقطعات شعرية بديعة ، يمثل فيها جمال الطبيعة وهدوءها ،
وسعادة الوحدة وهناءها ، ويطير بأجنحة خياله في عالم بديع من
عوالم الغيب ، كأنما يريد أن يفرّ بنفسه من هذا العالم المملوء
بالآلام والأحزان ، ويحاول أن يطارد كل خاطر من خاطرات
الهموم التي تتطاير حول قلبه ليستكمل لذته في العيش ، ويتغلغل
في أعماق المتعة بوحده وكتابه ، وكأسه وفتاته

فإن مرّ بخاطره ذكر الملوك والأمراء وما ينعمون به من عزٍ
وسلطان ، ولذة واستمتاع قال : ما لي وللملك والسلطان ،
والحاشية والجند ، والقصور الشامخة ، والجنان الفيحاء . هنالك
الحنّة والشقاء ، والفتنة الشعواء ، والهموم والأرزاء ، والدماء
والأشلاء ، والعويل والبكاء . وهنا الراحة والسكون في ظلال
الوحدة والانفراد ، حيث لا سيد ولا مسود ، ولا عابد ولا معبود ،
بين هذين التفرين : ثغر الفتاة وثر الكأس ، وذينك الصديقين :
هذا الكتاب المفتوح وذلك الغصن المظل ، كل ما يقدر السعداء
لأنفسهم من غبطة في الحياة وهناء

وإن ذكر الآخرة وما أعدَّ الله فيها من العذاب للمُسرفين على أنفسهم قال : إن من العجز أن أبيع عاجل السعادة المعلوم بأجلها للجهول . أنا اليوم موجود فلا بدَّ أن أستمع بمتعة الوجود ، أما الغد فلا علم لي به ولا بما قدَّر لي فيه . وعسير عليَّ أن أتصور أننا معشر الأحياء كنوز من الذهب ندفن اليوم في باطن الأرض لينبش عنا النابشون غداً

ثم يعود إلى نفسه مستغفراً الله من ذنبه في شكه وارتياحه فيقول : اللهم إنك تعلم أي ما كُفرتُ بك منذ آمنت ، ولا أضمرت لك في قلبي غير ما يضمرك لك المؤمنون الموحِّدون . فاغفر لي آثامي وذنوبي ، فإنني ما أذنبت عناداً لك ، ولا تمرداً عليك . ولكنها الكأْس غلبتني على أمري ، وحالت بيني وبين عقلي . وأنت أجلُّ من أن تقاضيني كما يقاضي الدائن مدينه ، لأنك كريم والكريم يرتجل المنحة ارتجالاً ، ولا يقرضها قرضاً ، ويسبغ نعمته حتى على العصاة والمذنبين

وأحياناً يستشعر قلبه الرحمة بالعباد فيبكي أحياءهم وأمواتهم ويقول مخاطباً فتياته : رويداً أيتها الفتاة في خطواتك على هذه

الأعشاب ، فلعل جذورها تستمد حياتها من كبدة فتاة مثلك ،
كان لها قلب مثل قلبك ، ووجدان مثل وجدانك ، وجمال
ورواء مثل جمالك وروائك ، ثم ضرب الدهر ضرباته فإذا أنت
في غلالة هذه الأشعة البيضاء ، وإذا هي في دُجْنَة تلك الأعماق
السوداء . فارقني بها واسكبي هذه الفضلة من كأسك على تربتها
عليها تتسرب إلى صدرها ، فتطفىء ذلك الالاعج الذي يتأجج
بين جوانحها

ثم يتخيل أحيانا كأنه واقف أمام رجل خزّاف يحرق
آبته في تنوره فيقول له : رحمة أيها الخزّاف بهذه الحماة التي
تقلبها في هذه النار ، فقد كانت بالأمس إنسانا مثلك ، وستكون
في مستقبل الأيام حماة مثلها . وربما ساقك الدهر إلى يدي
خزّاف تحتاج إلى رحمة ورققه . فارق بها اليوم يرفق بك
خزّافك غداً

وأونةً يلبس ثوب الواعظ المنذر ، فينعي على السعداء سعادتهم
ويذكرهم بما آلت إليه حال الملوك السالفين ، والأقوال الماضية ،

من خراب دورهم ، وعمران قبورهم ، وغروب شمسهم ، واندثار
آثارهم

ثم ينتقل من ذلك إلى البكاء على نفسه ، وترقب ذلك اليوم
الذي تصوِّح فيه زهرته ، وتنطفئ جذوته ، وتضعف منته ،
ويمحو نهار مشييه ليل شبابه ، فيزحف إلى قبره شيئاً فشيئاً ، حتى
يتردَّى فيه ، فيعود كما كان سرّاً مكتوماً في ضائر الأقدار ، وذرة
هائمة في مجاهل الأكوان

وهكذا ما زال ينتقل من عبرة بليغة ، إلى عظة بدیعة ، ومن
خيال جميل ، إلى تشبيه رقيق ، ومن وصف ناطق ، إلى تمثيل
صادق ، حتى أصبحت أعتقد أن هذه النفس التي عليها تشتمل
ردة هذا الشاعر الجليل ، مرآة صافية قد تمثل فيها هذا الكون
بأرضه وسماؤه ، وليله ونهاره ، وناطقه وصامتة ، وصاحجه وباعمه

وإن فخر الأعراب بمتنبيها ومعريها ، والفرنسة بلامارتينها
وفيكنتورها ، والسكسون بشكسبيرها وملتونها ، والطيان بدانتها ،
والألمان بغوتها ، والرومان بقرجيلها ، واليونان بهوميروها ، ومصر

القديمة ينتاؤورها ، ومصر الحديثة بأحدها ، لا يقل عن فخار
فارس بختيآرها

هنالك شكرت لك أيها البستاني الصغير نعمتك التي أسديتها
إليّ وإلى أبناء الضاد عامة ، بترجمة هذه الرباعيات ترجمة شعرية
بديعة سددت بها من اللغة العربية نغمة قد سدّ مثلها من قبلك
البستاني الكبير في ترجمة إلياذة هوميروس ، وهنالك لثمت في يدك
البيضاء هذه الزهرة الجميلة التي ستنبت حولها الزهرات ، والثمرة
الحلوة التي ستنبعها الثمرات . إن شاء الله تعالى

مصطفى لطفى المنفلوطي

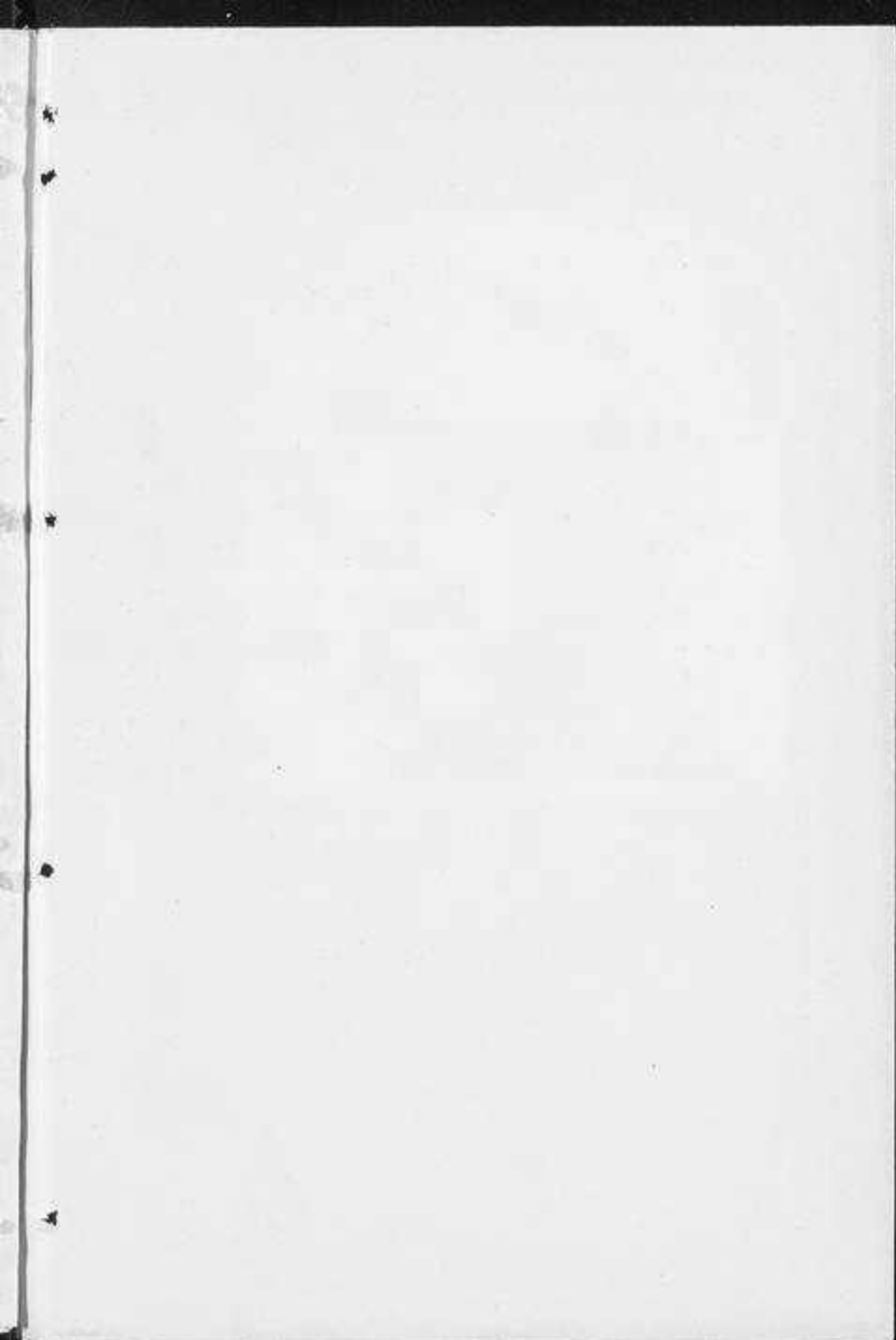
مصر ، ٣٠ ديسمبر سنة ١٩١١

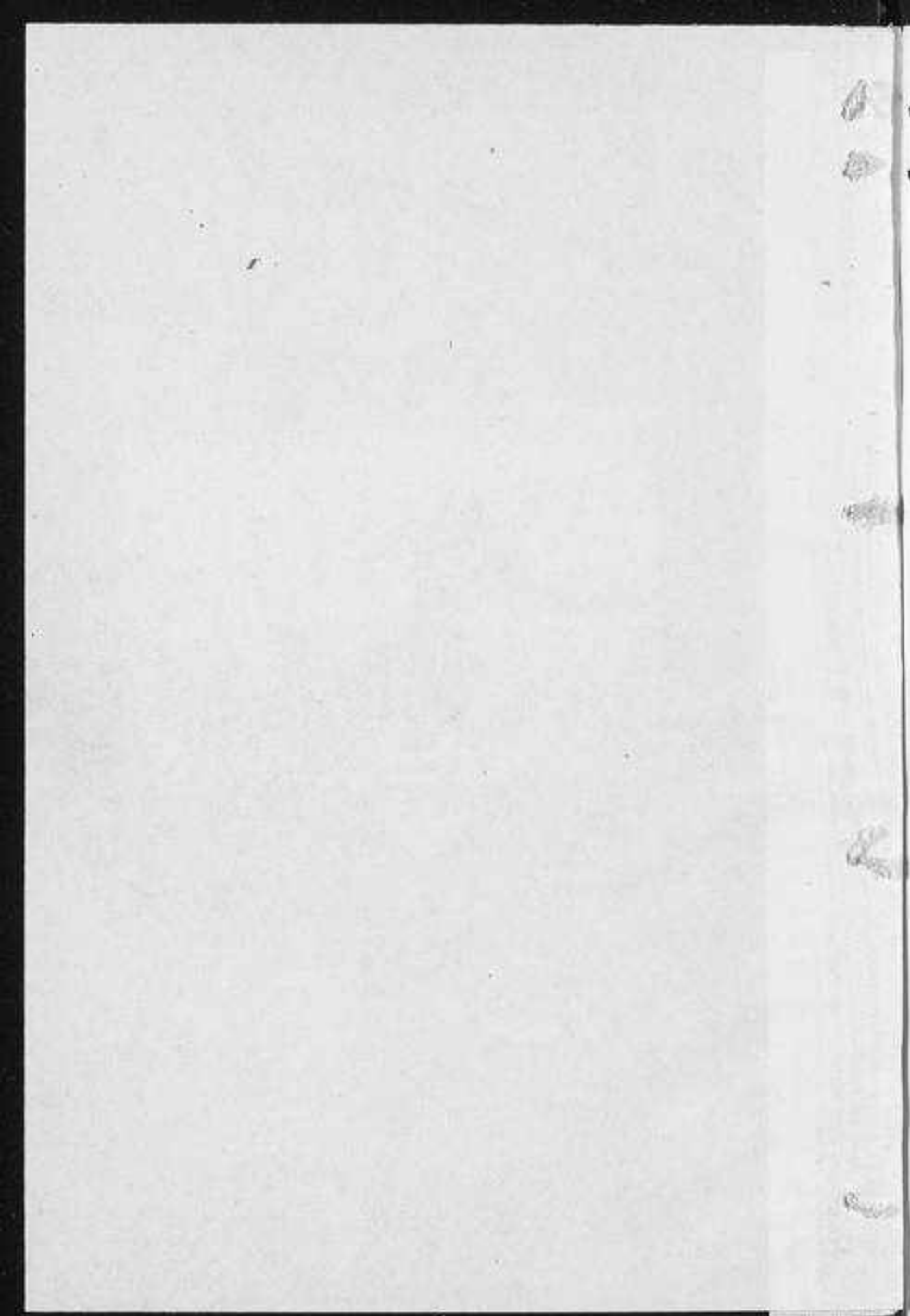


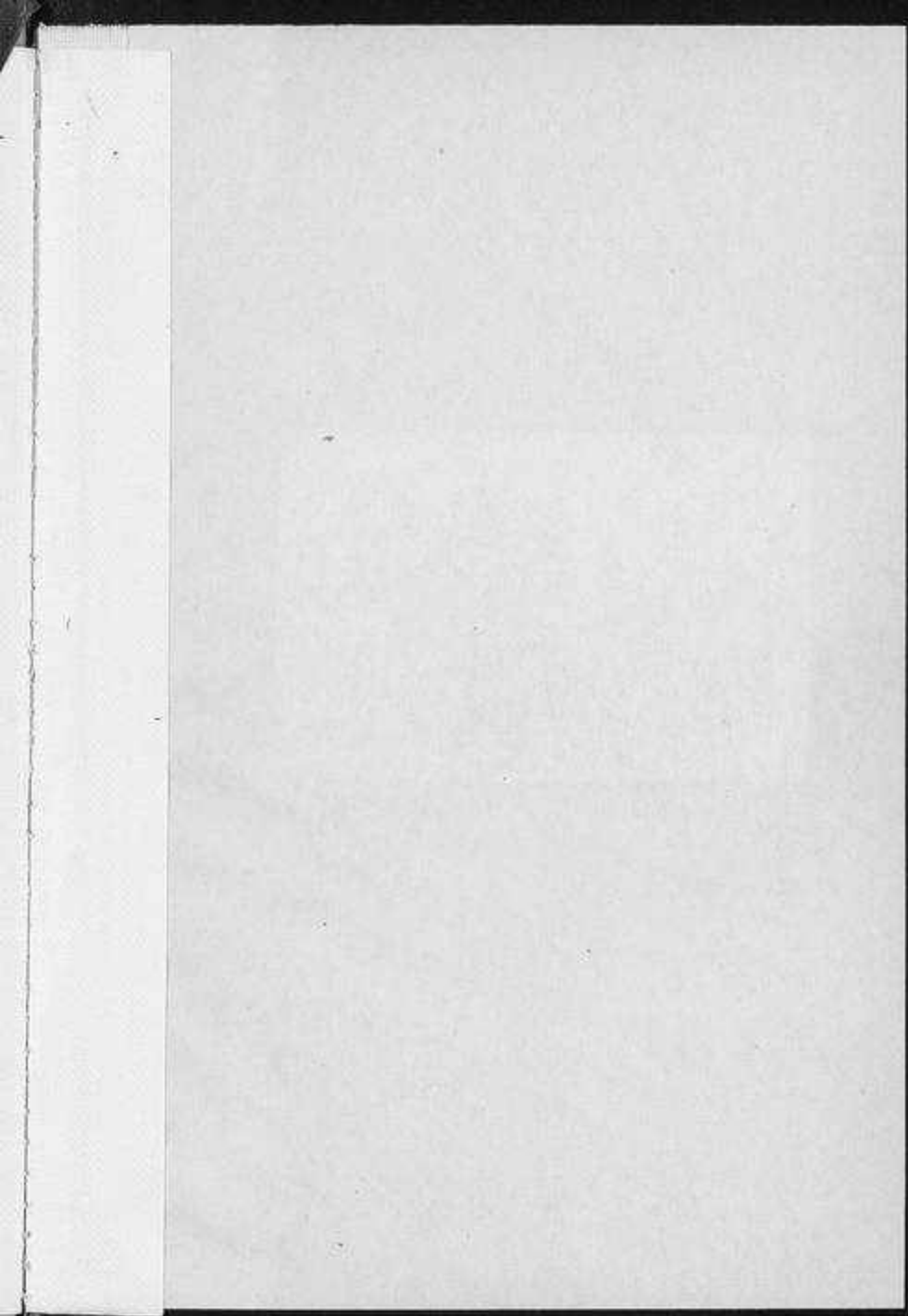
فهرس اللوحات

أمام صفحة

٤٤	...	١ النعيم
٦٠	...	٢ بالتراب قلوب
٧٦	...	٣ بقايا الأسلاف
٩٢	...	٤ فجر الفيلسوف
١١٢	...	٥ الله أكبر
١٢٠	...	٦ الوصية







LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library



32101 076318201



منشور الطبع والنشر
دار المعارف بمصر

(NEC)
PK6518
.A73
B878
1953